وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر- بسكرة-

كلية الآداب واللغات.

قسم الآداب واللغة العربية

جماليات التشبيه في كتاب " التشبيهات من أشعار أهل الأندلس " لابن الكتاني الأندلسي .

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص : نقـــد أدبـــي

إعداد الطالب:

عبد المالك عجال

إشراف الأستاذ الدكتور:

امحمد بن لخضر فورار

السنة الجامعية:

1437/1436هـ

2016/2015 م

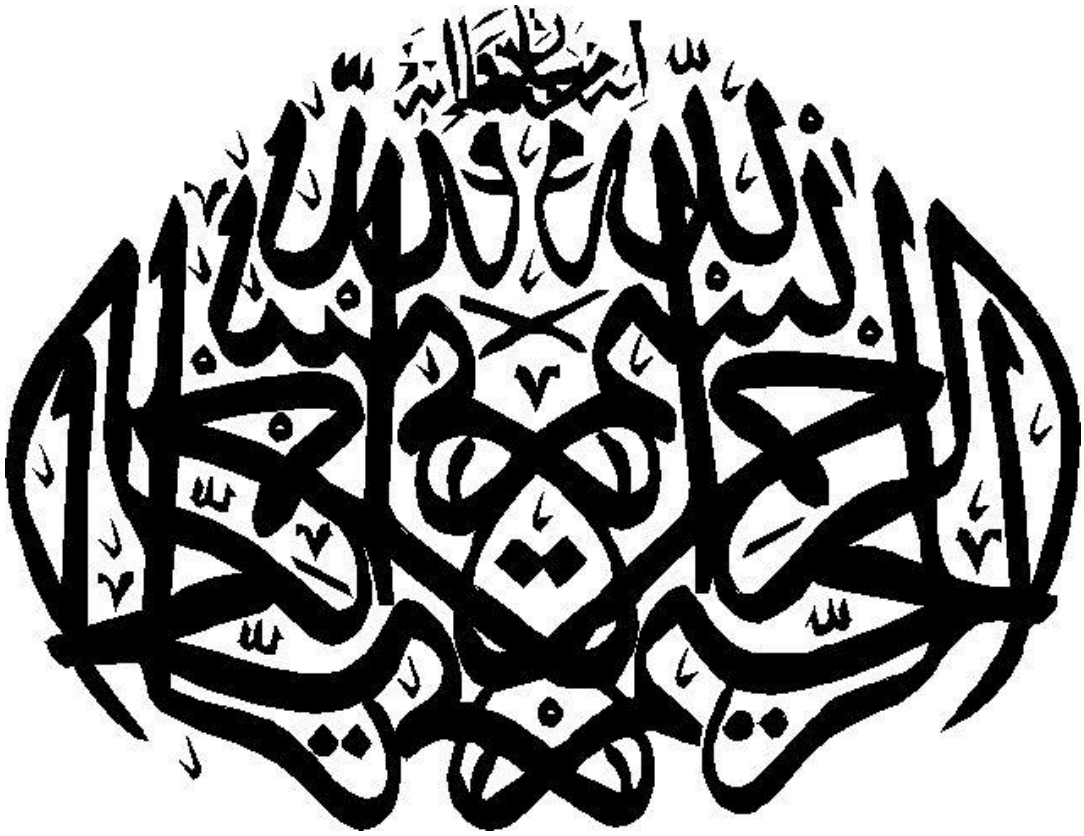
بسم الله الرحمن الرحيم
إله معلمانية

مقدمة

يمتلـك الأدب الأندلسـي مميـزات وخصـائص تجعلـه ينفـرد مـن بـين مختلـف الآداب الأخـرى سـواء فـي مجـال النثـر أم الشـعر ، هـذا الأخيـر الـذي كـان ولا يـزال محـط اهتمـام كثيـر مـن الدارسـين والنقـاد نظـرا لتـوفره علـى سـعة الخيـال والقـدرة على التجديد والابتكار سواء على مستوى الشكل أم المضمون .

لـذا تعـددت الدراسـات فـي الأدب الأندلسـي عمومـا ، والشـعر منـه علـى وجـه الخصـوص ، فظهـرت بـذلك الكتـب القيمـة والمصـادر الضـخمة التـي حاولـت الكشف عن أهم الخصائص الجمالية التي توفر عليها الأدب الأندلسي .

ومـن بـين تلـك المصـادر نجـد كتـاب " التشـبيهات مـن أشـعار أهـل الأنـدلس " الـذي يعـد أول مجموعـة شـعرية وصـلتنا تمثـل العصـر الأمـوي والتـي كـان لـه الفضـل فـي تـدوينها هـو الأديـب (ابـن الكتـاني) الأندلسـي ، ولأن الأدب الأندلسـي غزيـر بالصـور الفنيـة التـي أبـدع فيهـا أصـحابها ، لمحنـا ظـاهرة التشـبيه التـي بـدت وكأنهـا تطغـى علـى جـل صـفحات الكتـاب ، بالإضـافة إلـى مـا تحملـه هـذه الظـاهرة مـن خصـائص فنيـة أبـدع فيهـا الشـعراء قـديما وحـديثا ، ممـا جعلنـا نوجه العناية نحو معالجة البحث الموسوم بـ:

جماليـات التشـبيه فـي كتـاب " التشـبيهات مـن أشـعار أهـل الأنـدلس " لابـن الكتـاني الأندلسي .

وسـبب اختيـاري هـذه الظـاهرة موضـوعا للدراسـة هـو كونهـا تعـد مـن أبـرز الظــواهر الجماليــة التــي امتــاز بهــا الأدب الأندلســي ، وطغيــان التشــبيه علــى صفحات الكتاب.

أما الإشكاليات المطروحة في هذا البحث هي :

مــن هــو ابــن الكتــاني الأندلســي ؟ ، ومــا هــي أبــرز الموضــوعات التــي تناولهـا هـذا الأخيـر فـي مختاراتـه الشـعرية ؟، ومـا هـي أهـم الجماليـات التـي يمكـن اسـتنباطها مـن أبياتـه الشـعرية ؟، وهـل كانـت التشـبيهات التـي أوردهـا تمثيـل وتقليـد للقـدامى أم أنهـا كانـت مختلفـة كـل الاخـتلاف لتوفرهـا علـى سـمات الجـده والابتكـار ؟، وهـل اسـتطاع ابـن الكتـاني فعـلا أن يعكـس مـا مـدى تطـور الـذوق الفنـي عنـد ذوي الاختصــاص خــلال العصــر الــذهبي ، أم أنــه كــان مؤلفــا عاديــا همــه الوحيــد الكتابة فقط ؟ .

وارتأت بنية البحث تقسيمه إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة .

وقـد خصـص المـدخل للتعريـف بالشـاعر وعصـره الـذي سـاهم بشـدة فـي صــقل موهبتــه ، أمــا الفصــل الأول فجــاء تحــت عنــوان : الجماليــة الأدبيــة بــين الصـورة والـذوق الفنـي ، وتطرقنـا فيـه إلـى مفهـوم الصـورة لغـة واصـطلاحا عنـد كـل مـن العـرب القـدامى والمحـدثين ، ثـم بعـد ذلـك انتقلنـا إلـى حاسـة الـذوق الفنـي مـن

خـــلال إبـــراز مـــدى أهميتهـــا علـــى مســـتوى الســـاحة الأدبيـــة والنقديـــة . وقـــد جعلـــت الفصـــل الثـــاني للدراســـة التطبيقيـــة قصـــد الوقـــوف علـــى أهـــم العناصـــر الجماليـــة التـــي احتوتهـــا تشـــبيهات الكتـــاني الفنيـــة مـــن خـــلال رصـــد أهـــم العناصـــر الأساســـية التـــي ســـاهمت بشـــكل كبيـــر فـــي تفـــرد وتميـــز تلـــك المختـــارات الشـــعرية ، والتـــي أنـــارت لنـــا الطريق لمعرفة واكتشاف بعض ملامح الذوق الفني لابن الكتاني الأندلسي .

ولمعالجـــة هـــذا الموضـــوع اعتمـــدت علـــى المـــنهج التـــاريخي والمـــنهج الفنـــي وأرفقتهمـــا بـــالمنهج الوصـــفي بغيـــة وصـــف وتحليـــل النصـــوص الشـــعرية كـــي أتوصـــل لبعض النتائج لهذه الدراسة والتي تكون بمثابة خاتمة .

أما أهم المراجع التي صاحبت هذا البحث هي :

- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة لأحمد هيكل .
- الأسس الجمالية في النقد العربي لعز الدين إسماعيل .
- بلاغة العرب في الأندلس لأحمد ضيف .
- دلائل الإعجاز لعبد لعبد القاهر الجرجاني .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني .

ومـن الصـعوبات التـي اعترضـت سـبيل انجـازي لهـذا البحـث نـدرة المراجـع التـي تناولـت هـذه الشخصـية فـي الأدب العربـي بصـفة عامـة و الأندلسـي بصـفة خاصة ، وقصر مدة البحث .

وفـي الأخيـر أسـأل الله عـزَّ وجـلَّ التوفيـق والنجـاح فـي هـذا البحـث ، كمـا لا يفـوتني أن أتوجـه بالشـكر الجزيـل إلـى المشـرف الأسـتاذ الـدكتور **امحمـد بـن لخضـر فـورار** الـذي أمـدني بعلمـه الغزيـر وخبرتـه الرفيعـة ، وذلـل لـي كـل العقبـات حتـى اسـتوي البحـث علـى هـذا المنـوال ، وكـذلك أشـكر اللجنـة المناقشـة علـى تفضـلها بقـراءة هـذا البحـث بغيـة تصـويبه و إخراجـه فـي أحسـن صورة ممكنة .

مدخل :

التعريف بالمؤلف و عصره .

1 - التعريف بالمؤلف :

يعتبر (أبو عبد الله محمد بن الكتّاني الطبيب) من أشهر الأدباء الأندلسيين الذين برعوا في ميادين شتى .بفضل إسهاماته الواسعة في علوم متنوعة كعلوم النجوم والفلسفة والمنطق ومشاركة فعالة ومجيدة في تخصصات الأدب و الشّعر. وإذا تأملنا الورقة الأولى من المخطوطة حسب المحقق (إحسان عباس) سنجدها كالتالي : « إنه الشيخ أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب، ولم يرد ذكر اسم أبيه أو أي شيء يدل عليه»[1].

لكن الملفت للانتباه هو ذلك التضارب والاختلاف في الأقوال والآراء حول التسمية الكاملة لابن الكتّاني الأندلسي ، بحيث أننا لو تأملنا بعض التّرجمات التي قامت بتسليط الضّوء حول هذا الأديب الأندلسي لقلنا أن هناك تعارض فيما بينها على مستوى تسمية الكاملة لهذا المؤلف وبتحديد حول تسمية أباه . مثل ترجمة (الحميدي) التي أوردها إحسان عباس في مقدمة كتاب " التشّبيهات من أشعار أهل الأندلس " ، والتي يقول عنها في هذا الصدد:«الحميدي ترجم لرجل آخر كنيته أبو عبد الله وشهرته ابن الكتاني واسمه محمد ولكن أباه اسمه الحسَن وهو منسوب إلى مذحج فيقال فيه المذحجي ، وهذا نص ما قاله : محمد بن الحسَن أبوعبد الله المذحجي يعرف بابن الكتّاني ،

[1] - ينظر . أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب (420 هـ) . التشبيهات من أشعار أهل الأندلس . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت . لبنان . ص 7 .

لـه مشـاركة قويـة فـي علـم الأدب والشّـعر ولـه تقدم فـي علـوم الطـب والمنطـق والكـلام في الحكم والرسائل في كل ذلك وكتب معروفة »[1].

مـــن خـــلال هـــذا القـــول للحميـــدي يلـــج إلـــى الأذهـــان أنَّ محمـــد بـن الكتّـاني الطّبيـب هـو ابـن (الحسَـن) ، أمـا كنيتـه فهـي (المـذحجي) اسـتنادا إلـى مـذحج القبيلـة اليمنيـة المعروفـة والتـي تعتبـر مـن أقـدم القبائـل العربيـة السـبئية ، ولقـد تطـرق لهـذه القبيلـة العديـد مـن الشّـعراء والأدبـاء فـي مـدوناتهم مـن خـلال خصائصـها الموسـومة بالشّـجاعة و الحـرب آنـذاك ، كمـا أن لهـا شـأن مهـم فـي تلـك الحقبـة الزمنيـة نظـرا لـدورها الفعّـال فـي انتشّـار الإسـلام فـي كافـة أنحـاء الـيمن كلها .

واعتمـادا علـى هـذا القـول السـابق نسـتطيع إدراك تلـك البصـمة المتميـزة لابـن الكتـاني فـي ميـادين الشـعر والأدب، بالإضـافة إلـى تفوقـه الكبيـر فـي علـوم الطـب والمنطـق والكـلام، ومـن ذلـك كـان يلقـب بالطبيـب ، وهـذا دليـل واضـح على موسوعية هذا الرجل وكثرة إطلاعه على مختلف العلوم والتخصصات .

أمـا الترجمـة التـي دفعـت بالنقـاد إلـى الحيـرة والارتبـاك هـي ترجمـة (القاضـي صـاعد) والتـي يقـول عنهـا إحسـان عبـاس فـي مقدمـة كتـاب " التشّـبيهات " : « وقـد تـرجم القاضـي صـاعد لمـن كنيتـه أبـو عبـد الله واسـمه

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 8 ، 9 .

محمد وشهرته ابن الكتّاني ، فذكر أن أباه هو الحسُين ، وقال في ترجمته : « كان قد أخذ الطب عن عمه محمد بن الحسين وطبقته ، وخدم به المنصور محمد بن أبي عامر وابنه المظفر »[1].

إنَّ المتأمل للترجمتين يلاحظ أن هناك مواطن اختلاف وأخرى اتفاق فيما بينهما ، فالاختلاف يكمن في تسمية الكاملة للأب ، أما في الجهة المقابلة فنلاحظ اتفاق في التسمية والكنية والشهرة في ميادين الطب والمنطق والفلسفة والنجوم .

هذا الاختلاف والانفصام الحاصل بالنسبة لهذه الشخصية الأندلسية ، ربما راجع إلى الترجمات والمصادر المتضاربة التي نقل عنها كل من الحميدي و القاضي صاعد في فترات متقدمة لم يتم خلالها إعطاء التسمية المضبوطة والكاملة لبعض الأدباء الأندلسيين بسبب وغولهم في القدم ، واختلاف الترجمات من شخص إلى آخر وزَعم كل طرف أنّ ترجمته هي التي توافق الضوابط العلمية والمنهجية كونها أصيلة المصدر . أو ربما يكون السبب في تشابه بعض الكُنى والأسماء أمثال :الحسن ،الحسين ، الحسني ، الحسيني ....الخ.

[1]- ابن الكتاني . التشبيهات . ص 7 .

هـذا وقـد ظـل اللـبس والغمـوض يسـيطر علـى التسـمية الكـاملة لهـذه الشخصيـة الأدبيـة ، ممـا أدى بنـا إلـى التسـاؤل هـل الترجمتـان لشـخص واحـد أم لشخصـين مختلفـين ؟ : حتـى جـاء كـل مـن (ابـن الأبـار) و (ابـن عبـد الملـك المراكشـي) اللـذان قامـا بإزالـة ذلـك الغمـوض والإبهـام ، بقولـه :«إلـى أن حـلَّ كـل مـن ابـن الأبـار وابـن عبـد الملـك المراكشـي هـذا الاخـتلاف حـين ترجمـا لمـن اسـمه : محمـد بـن الحسـن بـن الحسـين المـذحجي أبـو عبـد الله الكتّـاني ، فـأورد مـا قـاله مُحمـد صَـاعد بـن الحسُـين ، ومـا قالـه الحميـدي عـن مُحمـد بـن الحسَـن ، وبذلك أثبتا أن الترجمتين لشخص واحد » [1].

وممـا سـبق يتضـح لنـا أنَّ كـلا التـرجمتَين الـواردتين فـي الكتـاب تتحـدَثان عـن شـخص واحـد وهـو(أبـو عبـد الله محمـد بـن الكتّـاني الطّبيـب) ، هـذا الأخيـر الـذي يمتـلك كتـاب آخـر علـى غـرار كتـاب "التشبيهـات " ويتمثـل فـي " محمـد و سـعدى " الـذي تنعـدم حـوله المعلومـات والأخبـار، بالإضـافة إلـى كتابـاته العديدة في ميادين الرسائل ، والطب ، والمنطق .

5 – ابن الكتاني . التشبيهات . ص10 .

2 – عصـــره : أمـا إذا حاولنـا التعـرف علـى الفتـرة الزمنيـة التـي عـاش فيهـا هـذا الأديـب نقـول أنَّ ملامحهـا تظهـر جليـا مـن خـلال كتابـه الموسـوم بـ " التشـبيهات مـن أشـعار أهـل الأنـدلس" – الـذي هـو قيـد الدراسـة – وذلـك مـن خـلال التطـرق إلـى فـئة الشّـعراء الـذين استشـهد بهـم ، و يبـدو أنَّ معظمهـم ينتمـون إلـى العصـر الأمـوي. وهـذا مـا أكـده إحسـان عبـاس عنـدما قـال : « إن الكتـاب الـذي بـين أيـدينا يـدل علـى أنّ مؤلفـه لـم يتجـاوز عـام420 إذ أنَّ جميـع الشّـعراء الـذين سـاق لهـم شـعرا فـي كتـابه هـذا ينتمـون إلـى الفتـرة الأمـوية والعامريـة ، وأبعـدهم وفـاة مثـل (ابـن دّراج القسـطّلي) ، (وعبـادة) و(يـونس بـن عبـد الله) ، (تـوفي سـنة 429) ، إنما نالوا الشهرة الأدبية في الفترة نفسها » [1].

يتبـين لنـا مـن خـلال مقدمـة الكتـاب أنّ الحقبـة التاريخيـة التـي ترعـرع فيهـا ابـن الكتّـاني تمثـل العصـر الأمـوي ، وعهـد الدولـة العامريـة التـي أسسـها (محمـد بـن أبـي عـامر) سـنة : 978– 1002 م ، بعـد نـزاع طويـل مـع بعـض رجـال الدولـة آنـذاك أمثـال السـيدة (صـبح) ، و(القائـد غالـب) لينتهـي بهـم الصراع في الأخير إلى فوز(محمد بن أبي عامر) بقيادة شؤون الدولة .

لقـد أسـس المسـلمون بالأنـدلس دول وحضـارات ومنـابر علمـية يشـهد لهـا كـل المتخصصـين والمثقفـين ، وعـليه أصـبحت الفتـرة الـتي قضـاها المسلمـون

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 11 .

في الأندلس من أزهى فترات الحكم الإسلامي في تاريخ العرب ، وهذا التاريخ الطويل نجده غالبا عند أهل المعرفة والتخصص يقسم إلى عصور وهي : عصر الولاة ، العصر الأموي ، عصر ملوك الطوائف ، عصر المرابطين ، عصر الموحدين ، العصر الغرناطي .

ونظرا لارتباط هذا المؤلف – ابن الكتاني الطبيب – بالعصر الأموي خاصة – العصر الذهبي – قررنا أن نستعرض أهم سمات ومميزات ذلك العصر خصوصا تلك التي تتعلق بالحركة العلمية والأدبية وأهم سماتها الفنية ، محاولين في ذلك التعرف على أهم الجوانب المؤثرة على النهضة الثقافية للأندلس ، هذه النهضة التي لعبت دور بارز في ظهور مؤلفات ضخمة ومتنوعة يشهد لها كل دارس للأدب الأندلسي .

« العصر الأموي ، ويبدأ بتأسيس عبد الرحمان الداخل لدولة بني أمية في الأندلس ، تلك الدولة التي تبلغ ذروة مجدها في عهد(عبد الرحمان الناصر) الذي يجعل منها خلافة عظيمة ، وينتهي هذا العصر بانتهاء ملك بني أمية هناك ، بعد سلسلة من الخلفاء العاجزين ، واختيار زعماء قرطبة لنوع من الحكم الجمهوري سنة 422 هـ – 1031 م »[1].

[1] – أحمد هيكل . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . دار المعارف للنشر و التوزيع . القاهرة . 1980. ص 28 .

لقد عرفت الخلافة الأموية تطورا وازدهارا على المستوى الفكري والحضاري و نهضة ثقافية شاملة مست كل الجوانب المتعلقة بالعلم والمعرفة ، وكان هذا بالتحديد في آخر عهد الخلافة في فترتي حكم (عبد الرحمان الناصر) و ابنه (الحكم المستنصر) اللذين لعبا دور فعال في تهيئة الظروف المناسبة من أجل شموخ الحضارة الإسلامية بالأندلس ، وهذا ما تجلى فعلا في منارة العلم والعلوم قرطبة التي كانت مقصدا وقبلة لمعظم الطلاب والعلماء من كل فج وصوب ، ويقول فيها (ابن بسام): « كانت منتهى الغاية ، ومركز الراية ، وأم القرى ، وقرارة أهل الفضل والتقى ، ووطن أولي العلم والنهى ، وقلب الإقليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الإسلام وحضرة الإمام ، ودار صوب العقول ، وبستان ثمرة الخواطر وبحر درر القرائح ، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر ، وفرسان النظم والنثر ،... و بها انتشأت التأليفات الرائعة ، وصنفت التصنيفات الفائقة » [1].

يتضح من خلال هذا القول لابن بسام أن الحركة العلمية آنذاك بالأندلس كان لها اهتمام كبير من جهة العلماء والأدباء نظرا لانتشار مختلف أنواع العلوم والمعرفة ، وهذا ما تجلى في مدينة العلم قرطبة ، وما هذا الوصف الأخّاذ إلا

[1]- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542 هـ) . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . تحقيق إحسان عباس. ق 1/ م 1. دار الثقافة . بيروت . لبنان . 1997 . ص 33 .

أبرز دليل على ذلك ، بحيث أنه يمكن لنا القول أن ابن بسام جمع كل مميزات البيئة الأندلسية وصاغها على أساس بناء فني متجانس.

وقد لحقت مدن أخرى غير قرطبة بركب الثقافة والتطور العلمي والتمدن الحضاري في مختلف المجالات ، بالإضافة إلى انتشار الأمن والرفاهية ، « وعاش المجتمع الأندلسي في فترة الخلافة عهده الذهبي من الناحية الثقافية»[1].

وعليه يعتبر الجانب الثقافي الجانب الأقوى للمجتمع الأندلسي إبان العصر الأموي باتفاق النقاد والدارسين ، بل إنه يمثل الناحية التي تبرز أهمية الشخصية الأندلسية في تلك الفترة الماضية . وقد ساعد على تلك النهضة الثقافية كل المقومات التي من شأنها أن تقف بأي شعب من شعوب العالم كالاستقلال ، الازدهار ، الرخاء و المساواة ، « وقد أتيح للأندلس في فترة الخلافة خليفتان وفرا للناس وحدتا واستقرارا وحقق لهم أمنا ورخاء ، ومكناهم من تحضر ورقي ، فأتاحا لهم كل ما من شأنه أن ينهض بثقافتهم ويرقى بعلمهم . بل إنَّ هذين الخليفتين لم يكتفيا بتهيئة الجو للثقافة والعلم ، وإنما دفعا نهضتها الثقافية الشاملة ، وذلك بتشجيع القادمين إلى الأندلس من علماء المشرق ، وجلب الكتب القيمة من شتى الأقاليم[2].

[1] أحمد هيكل . تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 184 .
[2] - ينظر . أحمد هيكل . تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 184 .

لقد كان للخليفتين (الناصر) و (الحَكَم بن عبد الرحمان) الدور البارز والقيم في تبلور الحركة الثقافية والعلمية في الأندلس ، و توفير العوامل المساعدة لذلك ، ومن هذه الجهود المبذولة نجد تشجيع الرحلات العلمية بين الأندلس والمشرق من أجل تبادل مختلف المعارف والعلوم والخبرات التي تساعد على صقل الموهبة الفردية ،رغم الصعوبات والتحديات التي كانت موجودة في تلك الحقبة الزمنية .

«فالناصر قد أحسن استقبال (أبي علي القالي) وأسند إليه تأديب ابنه الحَكَم ، ومكن له ليعلم الأندلسيين في قرطبة »[1]. ومن أشهر شعراء الخليفة عبد الرحمان الناصر الأديب الفذ (ابن عبد ربه الأندلسي) الذي له الفضل في تأليف كتاب " العقد الفريد" ، الذي يعد من بين أعظم الكتب التي أثرت المكتبة العربية عامة والأندلسية بصفة خاصة . « وهو الذي نظم بعض غزواته في أرجوزته المشهورة ، وحاجبه أحمد بن عبد الملك بن عمر بن أشهب ، ووزيره عبد الملك ابن جهور وآخرون [2]» .

في حين أنَّ (الحَكَم بن عبد الرحمان) تميزَ بحبه الشديد لمختلف الكتب التراثية وغيرها ، وكان كثير الاطلاع والتحري عن أفكار وتقاليد الشعوب السابقة خاصة العربية منها ، « وقد أشتُهر بمكتبته الغنية التي بلغت أربعمائة

[1] - أحمد هيكل . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 185 .
[2] - مصطفى صادق الرافعي . تاريخ آداب العرب . دار الكتب للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . الجزء الثالث . ط1 . 2000 . ص 211 .

ألف مجلد . وقد كان يحرص على جمع الكتب لها ويدفع فيها أغلى الأثمان ، كما فعل مع (أبي فرج الأصفهاني) ، حين وجه إليه ألف دينار ليرسل إليه نسخة من كتاب " الأغاني " ، فبعث إليه بنسخة من كتابه قبل أن يظهر في بغداد »[1].

ومن أبرز تجليات النهضة والرقي الثقافي في الأندلس خلال العصر الأموي ؛ وفرة العلماء والمؤلفات من كتب ومخطوطات على تنوعها واختلافها، هذه الوفرة التي لم تكن معهودة في السابق ، أدت بالشخصية الأندلسية إلى أعلى مراحل النضج التفكيري والاستقلالية الثقافية .

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح لنا أن الفترة الأموية تعتبر من بين أرقى الفترات التي عاشها الشعب العربي عامة والمسلمين بصفة خاصة ، فهي تعبر عن مدى تطور الحس المعرفي والفكري لأقلام الأندلس آنذاك ، و تعبر كذلك أيضا عن أعلى مستويات التقدم الحضاري و الفني لشعوب العربية. ، هذه النهضة العظيمة قد ساعدت على رقي وتطور فكري وحضاري لم يشهد له مثيل في الأندلس من قبل .

إنَّ كل تلكَ الأسباب والعوامل التي تعرضنا إليها في حديثنا عن النهضة الثقافية في العصر الأموي ، و بالإضافة إلى أسباب أخرى ، كانت لها الدور

[1] - أحمد هيكل . تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 185 .

الكبير في بروز الاتجاهات الأدبية والعلمية التي شكلت بيئة ثقافية تلم بمختلف المعارف والمفاهيم التي ساعدت على رقي الأدب العربي بصفة عامة والأندلسي بصفة خاصة. و أثرت كل التأثير في الأدباء والنقاد في تلك الفترة ، وهذا ما تلخص في أهم إبداعات أدباء الأندلس التي نذكر منها : كتاب " بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس" (للضبي) ، و "الإحاطة في أخبار أهل غرناطة" (لابن الخطيب) ، و "نفح الطيب" (للمقري) ، و"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" (لابن بسام) ، و" البديع في وصف الربيع"(للحميري). وغيرها كثير لا يعد ولا يحصى رغم تنوعها واختلافها في شتى العلوم والفنون .

فكل تلك الكتب التراثية لا يستطيع الباحث الاستغناء عنها ، ومن مثل هذا النموذج نجد كتاب" التشبيهات من أشعار أهل الأندلس " لـ (ابن الكتّاني) الذي نحن بصدد دراسته وإزالة الستار عن أهم الأفكار والجماليات التي يحتويها من أجل معرفة مؤلف يشهد على الإبداع الأندلسي محاولين بذالك الوقوف عند أهم القضايا وأبرزها لمناقشتها .

الفصل الأول:

الجمالية الأدبية بين الصورة و الذوق الفني .

1- مفهوم الصورة لغة و اصطلاحا

- عند القدامى
- عند النقاد المحدثين

2- الذوق الفني و أنواعه

« جبل الإنسان على تتبع ظاهرة الجمال ومحاولة فهمها وتفسيرها ، إذ تعد من الطبائع المنطوية عليها أسرار النفس الإنسانية التي تمتلك قدرا من الوعي الجمالي ؛ لذلك فإنها تتوق دائما إلى الاهتداء إلى معنى يتعلق بجدوى الحياة ، والتماس ما يحقق الرضا والسعادة الروحية ، وبالمقابل فإن الإنسان كذلك يحاول دؤوبا ما يمكّنه من استلهام جوانب هذا الجمال كفعل مقابل لمحاولة تفسيره وسبر أغواره والبحث عن كينونته »[1] .

وعليه أنتج التاريخ البشري عبر أجياله المتعاقبة وعصوره المتضاربة إبداعات فنية خالدة وأعمال مختلفة باختلاف التخصصات و الانتماءات . سواء كانت من البيئة العربية أو الغربية أو غيرهما من المناطق والتخوم، ولأن هذه الأعمال قدر لها البقاء والصمود في مختلف الأزمنة نظرا لامتلاكها مميزات وخصائص تتجسد مجملا في فكرة "الجمال " ، هذا الأخير إلي ينفرد بجملة من الخصائص والمعايير التي منحت للأعمال الأدبية الاستمرارية والبقاء . « فالجمال هو الحق ، أو هو التعبير عن المثالي ، أو رمز الكمال الإلهي ، أو المظهر الحسي للخير »[2].

وعليه فإن الجمالية الأدبية لا تتحقق إلا بوجود الصورة التي تعتبر نتاج المبدع الذي هو بدوره يسعى إلى التأثير على المتلقي ، هذا الأخير الذي يمتلك

[1] - خليقة بن عربي . إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر . دار صفحات للطباعة والنشر . دمشق . سورية . 2011 . ص 13 .

[2] - جورج سانتيانا . ترجمة محمد مصطفى بدوي . تحقيق زكي نجيب محمود . 2001 . ص 51 .

ذوق فني لا يشاركه فيه أحد ، كما أنه يحتكم لعامل الخبرة والثقافة المكتسبة التي تعتبر نتاج للقراءات المتعددة والمختلفة المقاييس والأبعاد في تحليله للنصوص، من أجل الوصول في الأخير إلى مرحلة تدعى : مرحلة التحليل الفني للصورة ، معتمدا في ذلك على الجانب الأبرز من قراءته التحليلية ألا وهو الذوق الفني .

1- مفهوم الصورة الفنية لغة واصطلاحا :

يعتبر مصطلح الصورة من أهم المصطلحات النقدية التي أسالت الكثير من الحبر لدى الأوساط النقدية والأكاديمية نظرا لأهميته البالغة في تحديد طبيعة العلاقة بين المبدع والمتلقي. في حين أننا لو تأملنا هذا المصطلح قليلا لوجدناه دخيلا نوعا ما على الثقافة العربية ، إذ أخذ الغرب هذا النوع من الدراسات على محمل الجد كمفهوم نقدي ، وانتقل هذا المفهوم إلى الثقافة العربية من خلال الاحتكاك الثقافي بين الحضارتين وهذا لا يعني أن العرب لم يعرفوا هذا المصطلح قط وإنما كان متداولا في التراث النقدي العربي . وهذا ما أكد عليه الباحث(جابر عصفور) بقوله : « ومع أن الصورة الفنية مصطلح حديث ، صيغ تحت وطأة مصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها ، فإن الاهتمام بالمشكلات التي يشير إليها المصطلح القديم ، يرجع إلى بدايات الوعي بالخصائص النوعية للفن الأدبي . قد لا نجد هذا المصطلح – بهذه الصياغة الحديثة – في التراث البلاغي والنقدي عند العرب ، ولكن المشاكل والقضايا التي

يثيرهـا المصـطلح الحـديث موجـودة فـي التـراث ، وإن اختلفـت طريقـة العـرض والتناول ، أو تميزت جوانب التركيز ودرجات الاهتمام »[1].

أمـا إذا تمعنـا هـذا المصـطلح لوجـدناه فـي لسـان العـرب (لابـن منظـور) علـى النحـو التـالي : « الصـورة فـي الشـكل ، والجمـع صُـورٌ، وَ صِـورٌ، وقـد صَـوَرَه فتصَـوَر ، وتصـورتُ الشـيء ، توهمـتُ صـورَته ، فتصَـوَرَ لِـي ، والتصـاويرُ ، التماثيلُ »[2].

- **الصورة عند النقاد القدامى :**

ولـو عـدنا إلـى مفهـوم الصـورة لـدى العـرب القـدامى – التـراث النقـدي – فإننـا نجـد هـذا الموضـوع قـد كـان متـداولا علـى طاولـة الدراسـة آنـذاك ، ممـا يـدل علـى أهميتـه ، و يعتبـر(الجـاحظ) مـن أوائـل النقـاد العـرب الـذين تنـاولوا هـذه القضـية عندمـا كـان بصـدد التحـدث عـن مفهـوم الشّـعر ، ويقـول : « المعـاني مطروحـة فـي الطريـق يعرفهـا العربـي والعجمـي والبـدوي والقـروي والمـدني ، إنمـا الشـأن فـي إقامـة الـوزن وتخيـر اللفـظ وسـهولة المخـرج ، وكثـرة المـاء ، وفـي صـحة

[1] - جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب . المركز الثقافي العربي . بيروت . ط 3 . 1992 . ص 7 .

[2] - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري) .لسان العرب . مادة (ش ،ع ، ر) . المجلد الرابع . دار صادر . بيروت . ط 1 . 1997 . ص85 .

الطبع ، وجودة السّبك فإنما الشّعر صناعة وضرب من النسّيج ، وجنس من التصوير»[1] .

يتحدث الجاحظ عن فن مهم من فنون اللغة العربية ألا وهو فن التصوير من خلال إبراز مدى أهميته ومكانته العالية استنادا إلى قيمته الجمالية المشحونة بداخله ، ويتبين من خلال كلامه أنّ هناك تلميح إلى مفهوم الصورة من خلال عبارة أن الشعر جنس من التصوير .لأن العرب آنذاك لم يصلوا بعد إلى مرحلة التقعيد .

وقد تزايد الاهتمام من طرف النقاد بالمستمع وذلك بإعطائه قيمة جد عالية في الجانب النقدي ، مما أدى هذا إلى تضاعف اهتمام المؤلف أو الشاعر بالطرف المقابل من المعادلة التواصلية وهو المستمع ، وذلك عن طريق التسابق والتنافس في ميدان صياغة الصور من أجل التأثير على عليه ، ومن ذلك نجد الشاعر الجاهلي (امرئ القيس) يقول في معلقته المشهورة [2] :

كأنِي غداة البينِ يومَ تحملُوا لدَى سّمراتِ الحي ناقفُ حنظّلِ

الشاعر هنا يشكو ألم فراق الحبيبة ورحيلها ، هذا المشهد الذي نقله إلينا امرئ القيس كان بواسطة فن التصوير الذي تمكن منه الشاعر بدرجة كبيرة ، من خلال نقله لكل ما يخطر بمخيلته إلى ذهن المتلقي بدقة متناهية .

[1] - جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرت. ص 255 .
[2] - امرئ القيس . الديوان . تحقيق مصطفى عبد الشافي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . 1989 . ص 31 .

وتحدث بن(رشيق القيرواني) عن الصورة الفنية في كتابه " قراضة الذهب " ، ويقول : « أنّ السرقات لا تقع إلاّ فيها ، وإنّ المفاضلة لا تقوم إلاّ على أساس منها »[1] .

يتضح لنا من خلال هذا القول لابن رشيق القيرواني أنّ النقاد العرب قد قدموا اهتماما كبيرا لموضوع الصورة ، وكان قولهم مجملا على سبيل التعميم في جعل الصورة سببا في ظاهرة السرقات الشعرية ، لأنها السمة التي يتميز بها كل شاعر عن بقية الشعراء ، وما ظاهرة السرقات إلا أبرز دليل على ذلك ، كما أن حسن الصورة من عدمها معيارا أو خاصية تعرف بها قريحة أو جودة الشاعر بخلاف الآخرين.

أما (عبد القاهر الجرجاني) فقد لمح لمفهوم الصورة أثناء حديثه عن نظرية النظم ويقول :«ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤمُّ . وإنما سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش . فكما ترى الرجل قد تهدي في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج ، إلى ضرب من التعبير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها »[2] .

[1] - ابن رشيق . قراضة الذهب في نقد أشعار العرب . تحقيق الشاذلي بو يحيا . الشركة التونسية للنشر والتوزيع . 1972 . ص 88 .

[2]- عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني . دلائل الإعجاز . تحقيق أبو فهد محمود محمد شاكر. ص87 ، 88 .

المفهوم الذي يمكن أن نستخلصه من التعريف السابق ، هو أنّ العمل الأدبي يقوم على أساس نظرية النظم ، هذه النظرية التي ركز عليها عبد القاهر الجرجاني أثناء دراسته للمؤلف والمتلقي ودورهما في العلاقة التواصلية بين الأفراد ، كما أنه ركز على موضوع الصورة بغية التأثير على المتلقي ونقله إلى عوالم المؤلف .فكلما كانت الصورة قوية كلما كانت مؤثرة ، والعكس صحيح .

هذه الصورة التي يتحدث عليها عبد القاهر الجرجاني يتحكم فيها المعنى الذي تحمله عبارة ما ، وبتالي يكون المعنى عاكسا لفكر صاحبه .

أما (قدامة بن جعفر) فيقول : « ولما كانت للشعر صناعة ، وكان الغرض من كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال ، إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن له طرفان ، أحدهما غاية الجودة ، والآخر غاية الرداءة ، وحدوده بينهما تسمى الوسائط ، وكان كل قاصد لذلك لشيء من ذلك إنما يقصد الطرف الأجود ، فإن كان معه من القوة في الصناعة ما يبلغه إياه سمي حاذقا تام الحذق » [1] .

يريد قدامة بهذا القول أن يؤكد على ضرورة تجويد الشاعر لشعره والاهتمام به ، لأن الشعر صناعة وأسلوب من أساليب التصوير كما يرى الجاحظ ذلك . ويقول في موضع آخر :« إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة

[1] - أبو الفرج قدامة بن جعفر . نقد الشعر . تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ص 74،75 .

الموضوعة ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة ، من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها ، مثل الخشب للنجارة ، والفضة للصياغة » [1].

وفي موضع آخر يؤكد قدامة بن جعفر على فكرة التكامل والتقابل الموجود بين المادة و الصورة ، حيث يطلق على المادة المعاني والصورة الشكل ، لأن المعاني دائما ما تكون للصور الفنية أو بالأحرى فإننا بالكاد نجد صورة فنية تخلو من معنى عميق .

ومن أهم الأفكار التي يمكن استخلاصها من التعاريف السابقة هو أن أعلام النقد العربي اهتموا كثيرا بالعلاقة التواصلية التي تجمع بين المبدع والمتلقي في ظل حرصهم على جودة اللغة وخلوها من العيوب الشائعة والمستعصية ، لأن الفكر النقدي العربي كان يحصر موضوع الصورة في أقسام البلاغة المتنوعة من تشبيه واستعارة وكناية ،بغية خلق فضاء يقوم على التأثير والتأثر بين الشاعر والمتلقي .

فكلما كانت الصورة أشد وقعا على المتلقي كلما كان الكلام أبلغ ، فلذة الجمالية تكمن في مدى فنية الصورة التي يمكن من خلالها السيطرة

[1] -. قدامة بن حعفر. نقد الشعر . تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي . ص 75 .

علـى المتلقـي . لـذلك اهـتم النقـاد العـرب كثيـرا بالتشـبيه، و الاسـتعارة، والكنايـة فـي ظل اهتمامهم بقضية اللفظ و المعنى .

أمـا النظريـة الجمـالية عنـد العـرب « فنجـدها غيـر متبلـورة إلـى حتـى الآن ، فهـي لا يمكـن تمثلهـا مـن حيـث هـي نظريـة متكاملـة فصـل القـول فيهـا أحـد الفلاسـفة العـرب ، وتناولهـا تنـاولا مسـتقلا يشـعر بالاهتمـام أو يشـعر بـالوعي كمـا لا يمكـن تتبعهـا فـي تطورهـا التـاريخي ، لأن البدايـة غيـر واضـحة ، وعناصـر التكـوين غيـر متميـزة . وإذا كانـت النظريـة الجماليـة تمثـل الـوعي الجمـالي عنـد المفكـرين وعامـة الشـعب فـي أمـة مـن الأمـم فـإن النظريـة التـي تصـور لنـا هـذا الـوعي لـم تصور بعد كما هي »[1].

يتبـين لنـا مـن خـلال القـول السـابق لـ (عـز الـدين إسـماعيل) أنَّ النظريـة الجماليـة فـي النقـد العربـي لـم تصـل بعـد إلـى المسـتوى المطلـوب بسـبب غيـاب الدراسـات التـي مـن شـأنها معالجـة هـذه النظريـة وجعلهـا متبلـورة و جـديرة بالمناقشـة و الدراسـة . لكـن المتأمـل لقضـايا الشـعر والنثـر قـديما بإمكانـه أن يلمـح الجمـال بـين طيـات تلـك الـدواوين والأشـعار ، وعليـه فـإن النظريـة الجماليـة عنـد العـرب متعـارف عليهـا قـديما لكـن لـم تصـل إلـى مرحلـة التقعيـد والتنظيـر بسـبب غيـاب الأبحـاث والدراسـات التـي مـن شـأنها أن تجعـل لهـذه القضـية علمـا خاصـا يستقطب الدارسين والمهتمين من جميع الجوانب .

[1] - عز الدين إسماعيل . الأسس الجمالية في النقد العربي . دار الفكر العربي . ط3 . 1974 . ص 130 .

- **الصورة عند النقاد المحدثين :**

أما النقد الحديث فقد تطرق أيضا لمفهوم الصورة ، وعن أهميتها يقول جابر عصفور: « الصورة الفنية – بهذا الفهم – طريقة خاصة من طرق التعبير ، أو وجه من أوجه الدلالة ، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير ، ولكن أيا كانت هذه الخصوصية أو ذلك التأثير فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته . إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه ، ولكنها – بذاتها – لا يمكن أن تخلق معنى ، بل يمكن أن تحذف دون أن يتأثر الهيكل الذهني المجرد للمعنى ، الذي تحسنه أو تزينه »[1].

نلاحظ من خلال هذا القول أن جابر عصفور يريد الوصول إلى نتيجة مفادها أن الصورة الفنية طريقة خاصة في التعبير هدفها التأثير على السامع من أجل تزويده بأكبر عدد ممكن من المعاني، ثم إن الصورة الفنية في حد ذاتها تمثل معنى و أن البناء العام للقصيدة لا يتأثر ولا يضطرب إذا ما نحن قمنا بحذف تلك الصورة فإننا نلاحظ التغير فقط على مستوى الصياغة .

أما (مصطفى ناصف) فقد تطرق هو أيضا لهذا الموضوع من خلال كتابة " الصورة الأدبية " ، ومن خلال مفاهيمه النقدية يبدو أنه يربط موضوع

[1]- جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب . ص 332 .

الصورة بالتراث النقدي والبلاغي العربي ، وفي ذلك يقول : « الصورة في الأدب تطلق عادة للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي ، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعماري للكلمات »[1].

مصطفى ناصف يؤكد على الصورة الاستعارية الحية دون غيرها ، ولهذا فإن مفهوم الشكل الأدبي أو الأدبية تكاد ترادف عنده الاستعارة الحية ، ويقول : « يتفق النقاد على مكانة الاستعارة الفطرية من الشعر ، فكل ما عدا الاستعارة من خواص الشعر يتغير ، من مثل مادة الشعر ، وألفاظه ولغته ، ووزنه ، واتجاهاته الفكرية ، ولكن الاستعارة تظل مبدأ جوهري ، وبرهانا جليا على نبوغ الشاعر »[2].

يثير هذا الكلام أكثر من تساؤل ، فمصطفى ناصف يجمل الصورة الشعرية في الاستعارة فقط ويضَع الكناية والتشبيه والمجاز بأنواعه جانبا ، وما نستطيع قوله بخصوص هذا القول هو أن مصطفى ناصف أهمل ما جاء به التراث النقدي والبلاغي من أفكار ومفاهيم حول قضية الصورة الفنية ، بل يمكننا القول إن جل البلاغيين العرب كانوا يبدون اهتمامهم بكل الصور الشعرية رغم التفاوت في التفضيل إلا أنهم لم يصلوا إلى مرحلة النفي والإنكار .

[1] - مصطفى ناصف . الصورة الأدبية . دار الأندلس للنشر والطباعة والتوزيع . القاهرة . ط3 . 1996 . ص 3 .
[2] - محمد الولي . الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي . المركز الثقافي العربي . بيروت . لبنان . ط 1 . 1990 . ص 228،229 .

ويؤكد (عبد القادر القط) أن « الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص بالقصيدة ، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالات والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد ، والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني »[1].

يريد عبد القادر القط أن يؤكد فكرة مفادها أن الصورة الفنية تكمن في الملكة المعرفية للشاعر ومنطلقاته الفكرية ورصيده اللغوي الناتج عن كل تجاربه السابقة في الإبداع اللغوي ، ليصل في آخر المطاف إلى المرحلة الأخيرة المتمثلة في صياغة تلك التجارب على شكل قالب فني . مرتكزا بالأساس على مجمل عناصر اللغة ومعاييرها الذوقية التي تتجلى بداخلها .

الشاعر الحديث يريد أن ينقل إلينا تجربته بكل ايجابياتها وسلبياتها ، وهذا الدور الكبير يتولاه الإلهام الشعري الذي يأتي على الشاعر في مراحل متفرقة ما يجعله يصاب بحالة من التشتت الذهني ، ويفقد السيطرة على فكره ، مما يصعب المهمة على القارئ في فك شفرات تلك الصور وإيجاد التحليل المناسب لها .

[1] - محمد الولي . الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي .. ص 10.

ومن جهة أخرى نجد (نعيم اليافي) الذي يقول : « إن لغة الفن لغة انفعالية ، والانفعال لا يتوسل بالكلمة وإنما يتوسل بوحدة تركيبية معقدة حيوية لا تقبل الاختصار نطلق عليها اسم (الصورة) ، فالصورة إذن هي واسطة الشعر وجوهره ، وكل قصيدة من القصائد وحدة كاملة تنتظم في داخلها وحدات متعددة هي لبنات بنائها العام وكل لبنة من هذه اللبنات هي صورة تشكل مع أخواتها الصورة الكلية التي هي العمل الفني نفسه ».

تقترب الصورة جراء هذا القول من فقدان مقوماتها الأساسية التي حددها النقاد العرب القدامى أمثال الجاحظ والسكاكي وغيره من العلماء ، ذلك لأنها تقمصت أدوار لا تليق بها وتعتبر غريبة نوعا ما خصوصا خروجها عن دائرة النقد القديم . نظرا لخلو هذا التعريف من الجانب اللغوي للصورة وأهم مدلولاتها وعناصرها الأساسية .

أما (إبراهيم عبد الرحمان محمد) فيقول : « نستطيع أن نميز في الصور بين نوعين منها : الأولى صور جزئية متنوعة يبنيها الشاعر غالبا بناءا تشبيهيا ، والأخرى ، صور كلية أو أقل لوحات عامة تؤدي فيها هذه الصور التشبيهية الجزئية وظيفة بنائية بعينها إذ تتحول إلى لبنات في هذا البناء التصويري

المتكامل وهي لوحات يبنيها الشعراء عادة من خلال قص الأحداث وحكاية المواقف »[1].

يقسم عبد الرحمان محمد الصورة إلى قسمين رئيسين هما : الصور الخاصة بالشاعر وتكون غالبا منحصرة في التشبيه أي صور جزئية ، والقسم الثاني يتمثل في تحول تلك الصور الجزئية إلى لوحة فنية متكاملة ، كما أنه حصر نوع الصورة فقط في التشبيه وتغاضى عن الصور الأخرى كالاستعارة والكناية والمجاز والتورية ... الخ .

وهذا القول نجده ينتقص من القيمة التي تمتلكها اللغة العربية ، بحيث أنها اللغة الوحيدة من بين اللغات التي تتوفر على نسبة كبيرة من الصور التي بها يستطيع المرسل التأثير على سامعه .

في حين أننا نجد الباحث (عبد الفتاح صالح نافع) يقول : « وإذا كانت الصورة تقوم أساسا على العبارات المجازية ، فلا يعني هذا أن العبارات حقيقة الاستعمال لا تصلح للتصوير . بل إننا نجد كثير من الصور الجميلة الخصبة جاءت من استخدام عبارات حقيقية لا مجاز فيها .

من أهم الملاحظات التي نستطيع استخلاصها من خلال التعاريف السابقة للنقاد المحدثين ، هو ذلك الدور الكبير الذي تلعبه الصورة الفنية في

[1] - محمد الولي . الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي عند العرب. ص 10 .

علاقتها بالمتلقي وتنمية ذوقه الفني والجمالي، وخلق تلك الروح الفنية النقدية المتذوقة للأعمال الأدبية ، ويكون الإحساس بالجمال جراء الممارسة الفعلية التي تؤدي إلى تنمية الحس الجمالي لدى القارئ المتذوق . بالإضافة إلى أن الناقد الفني له مميزات خاصة تجعله يختلف عن بقية الأدباء، لأن هناك أفكارا ومفاهيم يستطيع الناقد أن يصل إليها ويقدم لها مبررات وحججا تجعل منها قراءة منطقية.

وفي ظل الحديث عن المتلقي وملكته الذوقية التي يعتبرها العديد من النقاد أنها تختلف من فرد إلى آخر لابد من الوقوف على مفهوم الذوق الفني مرورا بأهم خصائصه الفنية .

2- الذوق الفني و أنواعه:

يعد التذوق عملية مزدوجة الأبعاد ، فالشاعر أو المؤلف تربطه علاقة تذوق بأعماله الإبداعية والفكرية من جهة ، بينما في الجهة المقابلة هناك علاقة تذوق من نوع خاص تلك التي تربط بين المتذوق و استجاباته النقدية التي تغذيها مختلف تجاربه السابقة ، هذا الناقد الذي يتميز وينفرد بتلك النظرات الحادة التي تجعله في صراع متواصل مع أفكاره السابقة والنص الذي يقابله من أجل الوصول إلى الإجابة المحتملة .

إن التذوق الفني من بين الصفات الكثيرة التي يتميز بها الإنسان عن كافة المخلوقات ، فالناقد لا يستطيع إزالة الستار على الأعمال التي هو بصدد دراستها إلا بعد أن يقوم بتذوقها من أجل الوصول إلى أهدافه المبرمجة وغاياته السامية ، وبالإضافة إلى أن الذوق الفني يأتي على أشكال مختلفة كالإحساس بالجمال أو الاستجابة الجمالية والحكم الإدراكي .

«صحيح أن عملية التذوق الفني لا تزيل اللبس الكلي المخيم على النص ، وإنما نحس أنها تدفع بالعمل الفني – بخاصة في الدراسات الأدبية – إلى الأمام بالمنظور النسبي »[1].

[1] - خليفة بن عربي . إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر . دار صفحات للدراسة والنشر . دمشق . سورية . 2011. ص 15 .

• **تعريف الذوق** : « نرى الناقد الفرنسي الشهير (دي بوس) (Dubos) في القرن السابع يعتبر الذوق الشخصي الذي أسماه " الحاسة السادسة " المقياس الوحيد للفن ، وقد بدأ الذوق يظهر جليا عندما ضعفت القواعد في القرن الثامن عشر ، وبدأت النظرية الجمالية في الظهور "1710– 1760م "، حيث لوحظ تطور متميز في علم الجمال . وظهرت آنذاك قضايا الذوق وعلاقته بالعقل ، ثم طبيعته العبقرية ، والعلاقة بين مطالب تلك العبقرية وبين سلطة القواعد ، كل هذا سار جنبا إلى جنب مع نمو التمييز بين الخبرة الجمالية وإدراك الحقيقة ، الخير والمنفعة ، شعور الإنسان تجاه الجمال وإحساسه بالعقل »[1].

الذوق يشكل الحاسة السادسة لدى دي بوس وهو المعيار الأساسي لقياس درجة الفن للموضوع المدروس ، وهذا الذوق الشخصي خاص بالذات فقط ولا يمكن لشخصين أن يتقاسما نفس الذوق .

أول الملكات التي ارتبطت بالذوق في بدايات ظهوره هي ملكة العقل ، لأن الذوق غالبا ما يصدر عن الذات العبقرية التي يغذيها العقل السليم ، ووفقا لهذه العلاقة صار النقاد أو الأدباء يلحون على تنمية هذه الملكة بغية الوصول إلى الخبرة الجمالية وإدراك الحقيقة لنصل في نهاية المطاف إلى التعدد

[1] - نجوى صابر . الذوق الأدبي وتطوره عند النقاد العرب حتى نهاية القرن الخامس هجري . دار الوفاء للطباعة والنشر. الإسكندرية . مصر. ط1 . 2007 . ص 9 .

والاختلاف في النظرة الجمالية ، وهذا ما يعود بالفائدة على النص المدروس أو العمل الأدبي .

وهناك من يعرف الذوق الفني بأنه « حالة من حالات التوحد الوجداني يعيشها المتذوق مع العمل المبدع »[1].

- **أنواع الذوق الفني :**

بخلاف نظرة القديم نجد النقد الحديث اهتم كثيرا بالذوق ووضعه على طاولة النقد مع محاولة التقعيد له ، وعلى سبيل المثال نجد (طه حسين) يقسم الذوق إلى قسمين : « ذوق فني عام، وذوق فني خاص ، فالذوق العام هو الذي تشترك فيه أبناء الجيل الواحد في البيئة الواحدة والبلد الواحد، متأثرين بظروف مشتركة تطبعهم جميعا بطابع عام »[2].

هذا النوع من الذوق نجده عند أبناء المنطقة الواحدة أو المحيط الواحد فتجد معظم أذواقهم متقاربة إلى حد كبير سواء في المركب أو اللون المفضل لديهم أو حتى الأطعمة ، لأن المنطقة تلعب دور كبير في عملية التذوق ، وعلى سبيل المثال تجد سكان الجزائر تختلف أذواقهم عن سكان بسكرة ، ونلاحظ أيضا اختلاف كبير في هذه الملكة من بيئة إلى أخرى ، ومن حيز لآخر .

[1] - نجوى صابر . الذوق الأدبي وتطوره عند النقاد العرب . ص 10 .
[2] - خليفة بن عربي . إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر . ص 27 .

الـذوق الخـاص هـو تلـك القـدرة التـي تتـيح للفـرد القـدرة علـى معالجـة النصـوص الأدبيـة بشـكل مختلـف عـن بقيـة الأفـراد حتـى وإن كـانوا مـن نفـس البيئـة نفسـها ، هـذه السـمات نجـدها متـوفر بشـكل لافـت عنـد الأدبـاء المتخصصـين بحيـث أنهم يصلون إلى ما لا يصل إليه غيرهم من الفئات .

« و يزيـد (أحمـد الشـايب) نوعـا ثالثـا لنـوعي طـه حسـين وهـو الـذوق الأعـم الـذي يشـترك فيـه النـاس بحكـم طبيعـتهم الإنسـانية التـي تحـب الجمـال وتتذوقـه طبيعيـا كـان أم صـناعيا ، وهـذا القـدر المشـترك بـين النفـوس البشـرية هـو الـذي يجمـع بينهـا أو بـين المتـأدبين منهـا فـي الإعجـاب بهـومير ، وشكسـبير ، والمعـري ، والمتنبي »[1].

يعتبـر الـذوق الأعـم مـرآة عاكسـة للطبيعـة الذوقيـة التـي تشـترك فيهـا الإنسـانية جمعـاء ، وبتـالي يـتمخض عـن هـذا الـذوق ذوق آخـر يجمـع بـين الأدبـاء والنقـاد مـن خـلال إعجـابهم بفطاحلـه الأدب وبأعمـالهم الخالـدة ، التـي لا ينكرهـا فـرد من الأفراد و هي صالحة لكل زمان و مكان .

وأهـم مـا يمكـن قولـه مـن خـلال تطرقنـا لموضـوع الصـورة ومـا يترتـب عنهـا مـن ذوق فنـي ، هـو أن الجمـال عنـد الـبعض يتعـدّى سـطحية المعنـى مـن دلالـة لفظـة (جميـل) لينطلـق إلـى كـل جديـد / مـدهش يحصـل عليـه المتلقـي مـن الـنص

[1] - خليفة بن عربي . الذوق الفني و تطوره عند النقاد العرب . ص 27 – 28 .

حتى لو كان قبيحا في معناه ، فالجمال الطبيعي – كما يقول كانط– هو الشيء الذي تتوافر له صفة الجمال ، أما الجمال الفني فهو تقديم الجميل للشيء : أي أن التعبير الفني قد يصب في أمر قبيح ، أو لا فائدة منه ، إنما هو جميل في تقديمه ، وفي طريقة عرضه ، ذلك بما يحويه من صور شعرية وإيحاءات وخيال وتعابير مؤثرة ... إلخ ، فقد يصف شخص الباطل ، أو القبح ، أو ما ليس جميلا ، فيجعل من وصفه ذلك نتفة أدبية راقية [1].

[1]– ينظر . خليفة بن عربي . إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر . ص 14 .

الفصل الثاني :

الذوق الفني لابن الكتاني الأندلسي من خلال مختاراته الشعرية (التشبيه)

ينقسم كتاب " التشبيهات " لابن الكتاني الأندلسي إلى ثلاثة أجزاء ، يتضمن كل جزء تشبيهات مختلفة لأبرز الشّعراء الأندلسيين في مجالات متعددة ومتباينة . تتضمن هذه الأجزاء مقطعات شعرية لما يقارب تسعين شاعرا ، يصوغ فيها الكتاني مختاراته الشعرية تحت مواضيع متفرقة ومتنوعة يمكن تقسيمها إلى أربعة مواضيع هامة سيطرت على جل الأبيات الشعرية المذكورة في الكتاب ، و هي :

1-تشبيهات خاصة بالطبيعة الأندلسية وتتمثل في : تشبيهات في القمر ، والنجوم ، والسماء ، والخيل ، والإبل ، وانبلاج الصبح ، و المطر ، البرق و الرعد ، وتشبيهات في الورد والأزهار وما يدخل في أصنافهما بالإضافة إلى التشبيهات المتعلقة بوصف الرياض والحمام الأندلسي ، ثم يواصل ابن الكتاني حديثه وهذه المرة من زاوية تختلف عن سابقها كحديثه عن القصور والمباني الفاخرة والشرفات المتطاولة .

2-تشبيهات متعلقة بوصف الخمر والسقاة والندامى وتتمثل في : باب في الشراب وأوصاف الخمر ، باب في صفات الكؤوس والأقداح ، باب في السقاة والندامى ، باب في القيان والمغنيين .

3-تشبيهات تختص بوصف الجمال الإنساني وتتمثل في : باب في الشَّعر وسواده وشقرته ، باب في أصداغ القيان وعذر الغلمان ، ثم بعد ذلك يواصل حديثه عن التشبيهات المتعلقة بوصف النساء وتشبيه القدود ، و تشبيهات في الخصور والأرداف ، وباب في النهود وطيب الريق .

4-تشبيهات تنحو نحو الهجاء ، وهذا ما نلمحه في الجزء الثالث من الكتاب والذي يحتوي على عدة أبواب من أبرزها : باب في البخل ، باب في هجو النساء المغنيات ، باب في الخوان و الأكلة و الطفيليين .

5-تشبيهات متعلقة بالطرافة والسخرية والتهكم وتتمثل في بابي اللحى والنحول .

وسنقف في دراستنا لهذه الأجزاء عند أهم الأبواب وأدقها من أجل تتبع جماليات الصورة التشبيهية محاولين في ذلك رصد أهم الخصائص والمميزات الطاغية على تلك الصور لنصل في نهاية المطاف إلى مرحلة استقراء لتلك الخصائص والمميزات المتحصل عليها ، والتي من شأنها أن تنير لنا الطريق نحو معرفة و رصد الذوق الفني الذي يتمتع به ابن الكتاني الأندلسي .

1- موضوعات التشبيه :

• **الوصف** : يعتبر الوصف من بين الأغراض الشعرية القديمة التي برع فيها العديد من الشعراء أصحاب القرائح والأذهان ، فالعربي من المعروف عنه تلك الحساسية التي يملكها تجاه الجمال ، وغالبا ما يندفع للتعبير عن حسه بالوصف ويعرفه النقاد القدامى على أنه : « تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة ، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال ، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق ، إلى غير تلك العناصر التي قد يحتاج وصفها إلى ذوق فني »[1].

إن المتأمل في التشبيهات التي أوردها ابن الكتاني يلاحظ ذلك الوصف العميق الذي يدل على تنوع صور الابتكار و الإمتاع و الغرابة نحو ما نلقى في وصف الطبيعة وما يجاورها من مظاهر مختلفة ، وفي ذلك يقول الشاعر عبادة بن ماء الأنصاري في وصف السماء[2] :

كأنَّ السّماءَ قبةُ من زمرُّدٍ وفيهَا الدَرارِي من عميقٍ مَسامرُ

الشاعر يبدو أنه يجمع بين شيئين لا يبدوان من أول وهلة أنهما متقاربان بالنظر إلى طبيعة كل منهما ، لكن هذا التباعد يظهر منعدما من خلال هذه

[1] - عبد العظيم علي قناوي . الوصف في الشعر العربي . الجزء الأول . ص 42 .
[2] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 19 .

الصورة التي يشبه فيها السماء بقبة من زمرد ، دلالة على اللمعان والضياء الذي يصاحب السماء في أطول فتراتها ، وتدخل هذه الصورة ضمن ما يسمى بتشبيه الأشياء في ظواهرها .

ونلمح في موضع آخر لا يقل جمالا عن سابقه تلك الصورة التي يقول فيها الشاعر(سعيد بن عمرون) ، الذي يعتبر أحد شعراء الدولة العامرية وهو يصف البدر[1]:

والبدرُ في جوّ السماء قد انطوى طرفاهُ حتى عادَ مثلَ الزَورَقِ

فترَاهُ من تَحتِ المحاقِ كأنمَا غَرقَ الجميعُ وبعضهُ لم يغرَقِ.

يحاول الشاعر من خلال هذه الصورة الجمع بين طرفين متباعدين كل البعد من خلال تشبيه للهلال وهو على هيئته في السماء بذلك الزورق الذي يسير في البحر وتتخذ صورته شكل الهلال في الاستدارة ، ومن ذلك يقول ابن المعتز [2] :

وأنظر إليه كَزورقٍ من فضَة قَد أثقلتهُ حُمولَة من عنبَر.

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 19 .

[2] - عزالدين إسماعيل . الأدب وفنونه . دار الفكر العربي للنشر و التوزيع .القاهرة .ط 9 . 2004 .ص 80 .

يشبه ابن المعتز الهلال الذي يتجلى في ضمير الغائب بالزورق الذي يطفو على سطح الماء وهو محمل بالعنبر، وعليه فإنه قد « تمثلت لنا تلك الخاصة الحسية في الصورة ، فقد أراد الشاعر أن يصور الهلال فالتمس له من عالم الحس صورة الزورق الذي يسبح في الماء وقد حُمل بالعنبر. وإذا نحن مضينا في تحليل هذه الصورة وجدنا أن شكل الزورق يشبه تماما شكل الهلال ، وأن حجمه يساوي حجم الهلال من بعيد . وأن لونه (ولا غرابة في أن يكون لون الزورق فضيا يشبه لون الهلال) » [1].

ومن ذلك يتساوى الهلال والزورق في الحجم واللون والشكل ، وقد أعجب النقاد سابقا بهذا البيت وأصبح من الأبيات التي تتصف بالجمالية الفنية من زاوية الرسم بالصورة . ومن ثم نستطيع القول أنَّ شعر الأندلس يمتاز في جملته عن الشعر العربي بما فيه من المعاني المبتكرة الجميلة ، التي كان يعالجها الشعراء هناك من الوصف البديع ، والكلام الرشيق ، والذوق الفني[2].

كما تبرز صفة الغرابة والابتكار أكثر في شعر(الرمادي) وهو يصف زخات المطر[3] :

---

[1] - عز الدين إسماعيل .الأدب و فنونه . ص 80 .

[2] - أحمد ضيف . بلاغة العرب في الأندلس . دار المعارف للنشر والتوزيع . سوسة . تونس . ط2 . 1998 . ص 48 .

[3] - ابن الكتاني . التشبيهات. ص 35 .

كأنَّ سلُوك الغيثِ عندَ اتصَالهِ بأسفلِ من أعلى سدى غيرُ ملحِمِ

سُلوك كذَوبِ الدُّرِ تُعنَى بفتْلها ولكنْ فـــــتلُها غَيـــرُ مبـــرمِ

الشاعر يرسم لوحة فنية غاية في الدقة والروعة وذلك من خلال تشبيهه لزخات المطر في أثناء نزولها والمظهر الجميل الذي يتمخض عن هذه الصورة باللآليء التي تقوم الرياح بمزجها وفتلها ولكن فتلها غير مبرم ، فالشاعر يظهر من أول الصورة وكأنه سريع القول يدخل في صميم غرضه دون تمهيد مع تميزه بالموسيقى الهادئة القريبة لأذن السامع ؛ أي أنه مطبوع على القول ويملك المهارة في الوصف وهو معروف عند الأدباء والعلماء آنذاك بذكائه الذي يبهر كل مستمع لقوله[1].

ومن الجوانب التي تلفت النظر في الكتاب الأول هو ما يتعلق بفكرة التأكيد على الوصف ، من خلال تلك الأبيات المنسوبة للشاعر (طاهر بن محمد) وهو يذكر جملة من النجوم[2]:

وليلٍ بتُّ أكلؤهُ بـــهِيـــمٍ كأنَّ على مفارِقِه غرَابًـــا

كأنَّ سماؤَهُ بَحرٌ خَضـــمٌّ كَسَاهَ المَوْجُ ملتطمًا حبابـا

[1] - ينظر . أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي . جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس . تحقيق بشار عواد معروف و محمد بشار عواد . دار المغرب الإسلامي للنشر والتوزيع . تونس . ط1 . 2008 . ص 547 .

[2] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 22

كأنَّ نُجومَه الزُّهر الـهوادِي وجوه أخضَلَتْ تبْغي الثَوابَـا

كـــــأنَّ المستسرةَ في ذراه كَمَائنُ غارَة رَقَبَتْ نهـابَـــا

كـأنَّ النجمَ معترِضًا وُشَـاةٌ تُسَارِقُ فيه لحظًا مسترَابَـا

يتبين لنا من خلال هذه الأبيات الغنية بالوصف براعة الشاعر في رسم هذه الصورة الرائعة والتي من خلالها يبدو أنه مولع بعناصر الطبيعة من سماء وليل ونجوم إلى درجة التأكيد في تشبيهاته بالأداة (كأنَّ) التي نجدها في كل بيت شعري ، فتارة يشبه الليل بالغراب في سواده وتارة أخرى نجده يشبه السماء بالبحر في اتساعه ، ثم بعد ذلك يشبه النجوم بتلك الوجوه الباكية التي تود الثواب والمغفرة ، وهذه الخاصية من الشعر عهدناها في أكثر من موضع في الأدب الأندلسي ، ومن روادها (ابن دراج القسطلي) ، (ابن عبد ربه) (يوسف بن هارون الرمادي) فكل هؤلاء الشعراء تميزوا بالوصف الدقيق إبان العصر الأندلسي لكثرة تأثرهم بالطبيعة الأندلسية وما يجاورها ، وتصوير فعل الظواهر في الخاطر، فلا بد من أن يكون بلغة أرقى وبأسلوب أكثر اتساقا ، وأعظم انسجاما من سواه [1].

[1] - ينظر . عبد العظيم علي قناوي . الوصف في الشعر العربي . ص 42 .

ومـن الأبـواب الدالـة علـى الوصـف فـي كتـاب " التشـبيهات مـن أشـعار أهـل الأندلس " هو ما قدمه الشاعر(أبو بكر يحيا بن هذيل) في وصف الرياض[1]:

والرَوضُ قد ألِفَ الندَى فكأنَّـه عيْنٌ تَوَقفَ دَمعُها لـــــرَقيب

مُتخَالِفُ الألْوَانِ يَجمَعُ شَمـلَهُ رِيحانِ ريحُ صَبا وريحُ جنُوب

فكأنَّما الصفراءُ إذ تومي إلــى البيضاءِ صَبٌ جــانِحٌ لحَبيبِ

الشــاعر يشــبه هنــا الأرض التــي تتميــز بالخضــرة نظــرا لغناهــا بالأزهــار والنباتـات التـي ألفـت النـدى ، بتلـك العـين التـي توقفـت عـن البكـاء عنـدما تـرى ذلـك الجمـال والأزهـار المختلفـة الألـوان والمتفرقـة التـي تجمعهـا ريـح الصـبا تـارة ، وريـح الجنوب تارة أخرى فبدت منها الأزهار الصفراء إزاء البيضاء .

ومـن التشـبيهات التـي لا تقـل ابتكـارا وجـده مـن سـابقها فـي ميـدان الوصـف هو ما نظمه (يحيا ابن هذيل) واصفا الحمام [2] :

غنَّى وفوقَ جنَايحِهِ سَقيطُ نـدَى والغَيْمُ يَنجَزُ للحُوذانِ مـــا وعــدَا

يَهفو بِه خُطوْطُ رَيْحَانٍ تُغازِلــه في الـــجوِّ ريحٌ فَتَلْوي مـتنَهُ أوَدا

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 49 .
[2] - المصدر نفسه . ص 57 .

إذَا استقل ومسَ الأَرْضَ تَحسُبُهُ مُصَلِيًا إنْ تَلَّقى سَجْدةً سَجـدا

يطغـى علـى هـذه الصـورة الفنيـة خاصـية الخيـال الـذي أورده الشـاعر فـي هـذه الأبيـات التـي تـنم عـن الصـنعة الفنيـة للشـاعر ، فقـد شـبه الحمـام عنـد نزولـه إلـى الأسـفل مـن أجـل التقـاط حبـات القمـح وتلـك الصـورة التـي يكـون عليهـا، بـذلك الشـخص الـذي يقـوم للصـلاة و يخـر للسـجود بعـد قيامـه ، ويعـد هـذا النـوع مـن التشـبيه حسـب عبـد القـاهر الجرجـاني تشـبيه الهيئـة أو الصـورة . ويتضـح لنـا أنَّ الشـاعر يتميـز بأنـه : «تخلـق فيـه القـوة المتخيلـة شـديدة جـدا ، غالبـة ، حتـى أنهـا لا تسـتولي عليهـا الحـواس ولا تعصـيها المصـورة ، وتكـون الـنفس أيضـا قوية لا يبطل التفاتها إلى العقل ، ويقبل العقل انصبابها إلى الحواس [1]».

وفـي مقطوعـة أخـرى تظهـر علـى إثرهـا سـمة الجـده والابتكـار مـن خـلال المختـارات الشـعرية لابـن الكتـاني ، وهـذا مـا تجلـى فـي الوصـف الـذي يطـال القصـور والبسـاتين والصـهاريج فـي بـلاد الأنـدلس ، وفـي ذلـك يقـول الشـاعر (أحمد بن درّاج) وهو يصف قصر السُرور بالزاهرة [2] :

دارُ السرُور المُعتلِي شرُفَاتُهَا فوقَ النُجوم الزُّهرِ فِي استِعلائِها

[1] - جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب . ص 53 .
[2]- ابن الكتاني . التشبيهات . ص 67 .

يعد وصف القصور بالأندلس من بين الأغراض الشعرية المبتكرة والتي أخذت شكلا واسعا في البيئة الأندلسية قديما ، ولقد أجمع النقاد على أن الشعر الأندلسي يتميز بصفات الإمتاع في بعض أغراضه ، ولقد قدم الشاعر وصفا من أعلى طراز من خلال هذا التشبيه الضمني الذي حاول فيه تشبيه قصر السرور بالزاهرة الذي يتميز بشرفاته المرتفعة كارتفاع السماء ، وكأنه بذلك يضاهي النجوم من حيث درجة علوها . ولقد أثبت الشاعر على إثر هذه الصور الفنية تأثره بالطبيعة الأندلسية ، حيث استمدوا منها أوصافهم واقتبسوا من مظاهرها صورهم التي أكدت قدرتهم على استجلاء عناصر الجمال ومحاكاتها شعرا .

ومن الصور الفنية التي تؤكد براعة الأندلسيين و تمكنهم من فن الوصف ، هو ما يتعلق بالفواكه وما يجاورها من مأكولات ، ومن ذلك قول الشاعر (علي بن الحسين) وهو يصف فاكهة التوت[1] :

أبدَى لَنَا التُوتُ أصنافًا منَ الحبشِ جُعدَ الشعورِ منَ الأطبَاقِ فِي فُرُشِ

كـأنَّ أحـمرها من بينِ أسودِهَا بقيةُ الشَفقِ البادِي معَ الغَبَشِ

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 85 .

يشبه الشاعر فاكهة التوت التي يتراوح لونها مابين الأسود والأحمر مع تلك الغضون التي تحيط بشكلها الخارجي ، برجال الحبشة الذين يتميزون بتلك التجاعيد الظاهرة على رؤوسهم . ثم بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى الجزء الثاني من الصورة التي تبدو مفرداتها الجمالية أقرب إلى الحواس من سابقها ، وفيها يشبه الهيئة التي تكون عليها فاكهة التوت وهي ممزوجة الألوان بين الأحمر والأسود وموضوعة في الأطباق بالصورة التي يخالط فيها بياض الفجر و ضياءه آخر الليل وظلماته .

ولقد استخدم الشاعر في هذه الصورة الفنية أسلوب المبالغة من أجل تقريب الصورة أكثر إلى ذهن المتلقي الذي يتوق لفهم المعنى وإدراكه ، « لذلك قرن البلاغيون المبالغة بالإبانة في حديثهم عن أغراض التشبيه والاستعارة ، كما فعل الرّماني والعسكري وابن سنان . وقيل إنَّ الغاية من التمثيل هي المبالغة في الإيضاح والبيان حتى يصير الغائب كالحاضر ، والمتخيل كالمتحقق ، والمتوهم كالمتيقن »[1].

[1] - جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. ص 343 .

و عليه يعتبر أسلوب المبالغة من الأساليب التي المساعدة على فهم الصور الفنية وما يتعلق بها من قضايا مرتبطة بالمعنى ، لذلك استخدم الشعراء الأندلسيين هذا الأسلوب في التعبير عن قرائحهم وإبداعاتهم .

تعتبر الطبيعة من أهم المصادر جذبا للشاعر الأندلسي ، فأصبحت بذلك تحتل مكانا رفيعا بين دفاتر الشعر آنذاك ، متمثلة في وصف الرياض والحدائق والبساتين والأزهار ، بل هناك من الشعراء من أنطق الأزهار فتمايزت وتفاضلت . وفي ذلك يقول الشاعر(يوسف بن هارون الرمادي) وهو يفضل الورد على سائر الأنوار[1] :

للآسِ والسَوسنِ والياســـمين الغضيِّ والخيريِّ فضلٌ شديدْ

سادتْ به الروضُ ومن بينـهَا وبين فضلِ الوَرْدِ بونٌ بـعيدٌ

هل لكَ من الآسِ سوى شـمةٍ تطرُحُهُ من بعدِهـا في الوقود

والـورد أن يذبلْ ففي مـــائهِ نسيمُ ضمِّ الإلفِ بعد الصدودْ

والسَّوءُ في السوسنِ عامٌ وفي ساعةٍ سوء قد قد تُزارُ اللُحود

واليــاسمينُ الياسُ فـي بدئهِ فهو لمنْ يَطمـــــعُ هَمٌّ عتيد

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات. ص 51 .

أخلَّ بـالخيري خُلْقٌ كـــخُلق اللصِّ يستيقظُ بعد الهُـــجود

فالـوردُ مولى الــروضِ لكنَّهُ في قدرهِ عبدٌ لـــوردِ الخُدودْ

يفضــل الشــعراء الأندلســيين غالبــا الــورد علــى بقيــة الأزهــار لأنــه يــدخل الطمأنينــة والســكينة علــى الــنفس فضــلا عــن عطــره الفــواح الــذي يُشــم علــى بعــد مســافات ، وتلــك الصــورة تــذكرنا بنــا نظمــه الشــاعر(محمــد بــن شــخيص) في الخصومة التي وقعت بين الورد والآس ويفاضل بينهما فيقول [1] :

أراكَ الوَردِ بالآسِ انتقاصـــاً فقالَ له : نقيصتُك المـلالُ

فقال لــلورد : لسـتُ أزورُ إلا على شوق كما زَارَ الخَيالُ

وأنتَ تُديمُ تثْقيلا طويـــــــلا تدُومُ بهِ كمَا رَسَت الجِبال

فتسْأمُك العُيونُ لــذاك بغْضَـا وترقُبُني كما رُقـب الهلال

يتضــح لنــا مــن خــلال النمــاذج التشــبيهية الســابقة أنَّ الشــاعر يريــد أن يظهــر الحقيقــة المنطويــة فــي النفــوس حــول أســرار الطبيعــة الأندلســية وحقــائق الموجــودات ، فالشــاعر البليــغ هــو الــذي يســتطيع التوغــل فــي النفــوس ويســتولي عليهــا بجمــال الافتتــان ، وبنعشــها بأســلوبه بيانــه ، ويهــذبها بمعانيــه ومــا تحملــه مــن إصــرار ،

[1] - ابن سعيد . المغرب في حلى المغرب . تحقيق شوقي ضيف . دار المعارف . الجزء الأول . ط4 . ص 108 .

ثـم إنَّ المبـدع الفنـي يسـتطيع إدراك مـا لا يدركـه غيـره ، لأنـه قـوي الملاحظـة والإدراك والتأمـل ، سـريع الخـاطر ، تختـرق نفسـه الحجـب فيـرى مـا لا يـراه غيـره ، وبـذلك يمكـن القـول أنَّ الشـاعر الأندلسـي قـد يكـون فـي بعـض المواضـع مسـاويا للفلاسفة والحكماء .

إنَّ المتأمـل لـلأدب الأندلسـي يلحـظ تلـك البراعـة التـي تحملهـا هـذه المختـارات الشـعرية والمتمثلـة فـي التشـبيهات ، والتـي تجعـل القـارئ فـي حيـرة مـن أمـره مـن خـلال الصـعوبة التـي تواجهـه فـي تحصـيل المعـاني وإدراك المفـاهيم ، إلا أنـه فـي الأخيـر يـدرك أنَّ السـبب الرئيسـي لهـذا التعـذر يكمـن فـي الموضـوعات الجديـدة التـي طرقهـا الأندلسـيين مـن مثـل ظـاهرة اسـتنطاق الزهـر والمفاضـلة بين الزهور .

ومـن بـين المواضـيع التـي طرقهـا الشـعراء فـي هـذا المؤلـف ظـاهرة وصـف الخمـر ، حيـث تعتبـر هـذه ظـاهرة فـي الشـعر العربـي مـن أقـدم الأغـراض التـي طرقهـا الشـعراء منـذ زمـن بعيـد ، ويعـد أبـو نـواس مـن رواد هـذا الفـن مـن خـلال خمرياتـه المشـهورة التـي يقـول عنهـا أبـرز النقـاد أنهـا لـم يتحـدث فيهـا شـاعر مثلمـا فعـل أبـي نـواس . حتـى أن بعـض الدارسـين يـرى أنَّ أبـو نـواس أنشـأ غرضـا خاصـا بـه و لا يشـبهه أحـد فـي خمرتـه التـي تعتبـر مـن نـوع خـاص . وكـان يجـاهر

بهـا وبشـربها ظنـا منـه بـأنَّ الحيـاة قصـيرة المـدى وهـي كثيـرة الهمـوم والمتاعـب ولا يوجد مـا هـو أحسـن مـن شـرب الخمـر مـن أجـل تناسـي ذلـك كلـه ، وعـدم تضـييع الحيـاة فـي الحـزن والتفكيـر فهـي المسـؤولة عـن طـرد الهمـوم والمشـاق وجلـب السـعادة والمرح .

ونظـرا لشـيوع الخمـرة فـي العصـر الأمـوي ووروده‍ـا علـى ألسـنة الشـعراء كثيـرا إلـى درجـة التفـنن فـي الوصـف ، فقـد كشـفت لـي التشـبيهات التـي أوردهـا ابـن الكتـاني علـى ميـل بعـض الشـعراء الأندلسـيين إلـى وصـف الخمـرة والثنـاء عليهـا وعلـى حاملهـا وشـاربها علـى السـواء ، وذكـر مجالسـها وتشـبيههم لهـا بالـدواء الذي يقضي على جميع الأمراض ويشفي من جميع الأسقام .

يقـول الشـاعر (أحمـد بـن عبـد ربـه) فـي تشـبيهه للخمـرة مـع الكـؤوس التـي ترافقهـا فـي أثنـاء الـدخول بهـا إلـى المجـالس، بتلـك الشـمس التـي ارتـدت ثيابـا مـن البـدر فزادتهـا جمـالا وبهـاءا قبـل أن يصـفها بأنهـا ملمعـة بالطيـب مفعمـة بـالقتير؛ الـذي هـو ذلـك الشـيب الـذي يعلـو الخمـرة ويسـتخدمه الشـعراء مـن أجـل الكناية عما يعلوها من زبد [1]:

ورداعةٍ بأنفاسِ العبيـــــرِ مقنَّعَةِ المفارقِ بالقتيـــــــرِ

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 88 .

جلتهَا الكاسُ فاطَّلعت علينَا طلُوعَ البِكرِ في حُللِ الحـرَيرِ

كأنَّ كؤوسَها يَحملنَّ منـــها شُموسًا ألبستْ خِلَعَ البـدُورِ

كمـا نجـد فـي موضـع آخـر مـن الكتـاب تشـبيههم للخمـرة بـالبرق وهـذا دليـل علـى تنـوع الصـور الفنيـة تلـك التـي تتعلـق بالوصـف ، وهـذا مـا تجلـى فـي قـول الشاعر (محمد بن إسماعيل النحوي)[1]:

فتبسَّمتْ منهُ إليكَ مُدامةٌ كالبرقِ لاحَ بظلمةٍ فأنـــارهَا

وكأنّها لما زَهَت بجبابـِهَا خُودٌ تَريكَ عُقُودَها وسِـوارَها

الشـاعر يعقـد شـبها بـين شـيئين متباعـدين بـالنظر إلـى طبيعـة كـل واحـد منهمـا مـن خـلال تشـبيهه للخمـرة بـالبرق الـذي يلـوح بـأي ظلمـة فينيرهـا ، وتتميـز هـذه الصـورة التشـبيهية بغلبـة طـابع المبالغـة عليهـا والابتعـاد عـن مجـال الحقيقـة كـل البعـد . بينمـا الصـورة الثانيـة تتمثـل فـي تشـبيه الخمـرة بتلـك الفتـاة الحسـناء التـي تبـدي زينتهـا بغيـة افتتـان غيرهـا ، وعليـه فـإنَّ الصـورة الثانيـة فإنَّهـا تبـدو أقـرب إلـى الحـواس مـن الناحيـة الجماليـة بخـلاف الصـورة الأولـى التـي طغـى عليهـا طـابع المبالغة بصفة كبيرة .

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات. ص 89 .

كما برع الأندلسيين أيضا في تشبيههم للخمرة وهي تتوهج وتلمع في الكؤوس بنجوم الليل التي تدور في الفلك ، وفي هذا الصدد يقول الشاعر (أحمد بن خطاب النحوي)[1]:

كأسٌ تُجلِّي الهموم صورتُها شاربهَا في النَديِّ كالملكِ

كأنّها و الأكفُّ تَحملُها نُجومُ ليْلٍ تَدورُ في الفلكِ

يشبه (ابن هذيل) الخمر باللآليء المذوبة من شدة لمعانها وضيائها بعد عصرها خصوصا ، لأنه من المتعارف عليه بين الشعراء هو ذلك المظهر الجميل الذي تأخذه الخمرة في اللحظات الأولى من عصرها حين يصبح لونها أبيض[2]:

لعبتْ بأيامِ الزمَانِ وطاولَتْ مُددَ اللَيالي فهي جرمٌ صافِ

فإذا استقرَّت في الكؤوسِ حسبتَها منها ، لرِّقةِ جُرمها المتكافي

عصُرت كأنَّ من اللآلىء ذوِّبت فشرابُها من كلِّ ضُرٍّ شافِ

بقد أوهمت حَكمَ الحُدود فظنها ماءً، وقدْ حَكَمتْ بحُكمٍ خافِ

[1] - ابن الكتاني .التشبيهات . ص 90 .
[2] - المصدر نفسه. ص 97 .

وفيما يتعلق بالتشبيهات التي تطال صفات الكؤوس والأقداح ، قول الشاعر(أحمد بن عبد ربه) [1] :

تَرى الأباريقَ والأكوَاسَ ماثلَةً وكلّ طاسٍ من الإبريزُ مُمتَثِلُ

كأنَّها أنجمٌ يجري بها فلكٌ للراحِ لا أسَدٌ فيها ولا حَملُ

الشاعر من خلال هذين البيتين يأتي بتشبيه غريب نوعا ما إلى درجة أنه وصف أكواس الخمر التي تقف ماثلة بجانب بعضها البعض قبل أن توزع على أصحابها ، بأنها من الذهب الخالص الباهض الثمن ، نظرا للقيمة الكبير التي تحملها الخمرة في نفس الشاعر ، حيث يشبه هذه الأكواس بالنجوم التي تجري في الفلك لا أسد فيها ولا جمل .

لعل أهم ما نستطيع قوله من خلال تعرضنا إلى الأبيات الشعرية التي تتعلق بوصف الخمر لدى الشعراء الأندلسيين بالرغم من قلتها، هو تلك التشبيهات الغريبة التي يعتمدها الشاعر الأندلسي والتي تعتبر دليل واضح على دقته في التصوير وتمكنه من ألفاظ اللغة إلى درجة أنه يجمع بين شيئين يتمظهران في أول الأمر أنهما متباعدان ومن الصعب اشتراكهما في وجه من الأوجه ، لكن القارئ للشعر الأندلسي وبالتحديد في ميدان الوصف حتما

[1] - ابن الكتاني .التشبيهات . ص 98 .

سيصـرح بأنــه مـن السـهولة جـدا الجمـع بـين شـيئين متباعـدين فـي أثنـاء التصـوير الفني خاصة عندما يتعلق الأمر بالشعر الأندلسي .

• **الغـزل :** يعتبـر الغـزل مـن أشـهر الأغـراض الشـعرية التـي تناولهـا الشـعراء قـديما وحـديثا ، و لقـد ازدهـر إبـان العصـر الأمـوي بالأنـدلس بشـكل لافـت ومثيـر نظـرا لتـوفر العوامـل المسـاعدة علـى تطـور هـذا النـوع مـن الفـن كالطبيعـة السـاحرة والأزهـار الفواحـة والحـدائق الواسـعة والبسـاتين المخضوضـرة ، بالإضـافة إلـى تلـك القصـور الفـاخرة التـي شـيدها الأندلسـيون وأصـبحت بـذلك قبلـة للمتغـزلين لإلقـاء مـا فـي خـواطرهم وإبـداء مـا فـي أنفسـهم ، وهـذا مـا لمحنـاه فـي كتـاب " التشـبيهات " لِابـن الكتـاني الأندلسـي الـذي يتنـاول فـي جـزء منـه تلـك الأبيـات الغزليـة التـي تحمـل الصـنعة والجمـال الفنـي ، بالإضـافة إلـى جزالـة الألفـاظ وحسـن التعبير ودقة الملاحظة .

يقـول الشـاعر(أحمـد بـن عبـد ربـه) مشـبها محبوبتـه بالبـدر بعـد أن وصـفها بالتريكة والدمية والظبية [1]:

تريكَةُ أُدحـيٍّ ودُرة غائصِ ودُميةُ محرابٍ وظبيةُ قانـــــِصِ

هو البدرُ إلا أنني كلَّ ليلَةٍ أرى البدرَ منقوصًا وليس بناقِـصِ

يتضـح مـن خـلال هـذا البيـت اسـتخدام الشـاعر لظـاهرة الإيحـاء وهـذا دليـل واضـح علـى أنَّ هـذه المـرأة ليسـت بعاديـة لـذلك شـبهها بالبـدر ، فالشـاعر يصـفها

[1]- ابن الكتاني . التشبيهات . ص 122 .

بأجمل الصفات وأعذبها وهذا ما أدى به إلى استخدام فن المبالغة من أجل الوصول إلى الثناء الكلي للمدوح .

وفي جانب آخر من التشبيهات التي تدخل ضمن غرض الغزل في كتاب " التشبيهات " هو تشبيه الشاعر(يوسف بن هارون الرمادي) لشَّعر محبوبته الذي يتميز بسواده الشديد بالليل وظلمته ، ويقول[1]:

وليلةٍ لمةٍ تبقى العيونُ الرَوامقُ من دُجـــــاهَا في ضلالِ

وكنتُ عن اللـــيالي غير راضٍ بحالٍ إذ جَنَتْ تغيير حالِي

فلـــمَا أن رأيتُ الليل شِبْـــهًا للمّتهِ رضيتُ عنْ اللَـــالي

يخالف الشاعر هنا الطرق التقليدية المعروف عليها في التغزل بالنساء ، فالشاعر القديم كان يرى في الليل الصورة الأمثل لتشبيه شَّعر المرأة في سواده ، لكن يوسف الرمادي يتبع منهجا جديدا في التغزل بممدوحه، ويقول بأنه غير راضٍ عن الليل ولا يعترف به ولكن تغيرت نظرته عندما رأى شبيه في الخلق الإنساني وبتالي أصبح راضيا عن الليالي .

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 124 .

أما ما يتصل بالتشبيهات التي تخص مشي النساء وتشبيه القدود نجد قول (عبد الملك بن جهور) الذي يصف محبوبته بأحسن عبارات الجمال والمدح ويشبهها بالسوسن المزهر من شدة جمالِ مظهرها وشكلها الخارجي حيث أصبحت تبدو كالروض في الحسن من كثرة انغماره بالندى والطل فزادها من الحسن حسنا آخر، ويقول[1]:

أقبَلْتِ في ثَوبٍ عليْكِ بَنَفسَجي كالسَّوسن الأرجِ النَقِيِّ الأبهجِ

كالرّوضِ حَسنا قدْ تشرّبَ ماءه فبدا بهِ من كلّ حسنٍ مُبهجِ

وفي موضع آخر من الكتاب نلمحُ بعض التشبيهات التي تتعلق بباب التغزل بالغلمان من خلال الحديث عن إشراق الوجه وتشبيه الخدود والخيلان ، حيث شبه الشاعر شدة الحمرة التي يحتويها خد الفتى بالياقوت من كثرة نظر الناس إليه ، حتى أصبح الخجل لما يفارق وجناته كأنما يعود إلى خديه ، ويقول في ذلك الشاعر(يوسف بن هارون الرمادي) في الخدود[2]:

وكأنَّ درَّ الخدِّ يكسي حمرةَ اليَاقوت من نظر العُيُون إليه

وكأنَّ خجْلَتَهُ إذا ما فارقت وجـــناتِهِ عادتْ إلى خدَيْهِ

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 142 .
[2] - المصدر نفسه . ص 131 .

ومـن التشـبيهات التـي تؤكـد إجـادة الأندلسـيين فـي غـرض التغـزل بالغلمـان ومخالفـة القـدماء فـي طرقـة تركيـب الصـورة قـول (مـروان بـن عبـد الرحمـان) في أصداغ القيان وعذر الغلمان أين تبرز الغرابة في التشبيه بشكل لافت[1] :

ترنُو لواحظَنـــا لتقطف وردَه فَتَدُبُّ عقربُهُ فتلسع من رنَا

فكـأنَّ عقرَبَ صُدغِهِ في خَدِّهِ دَّبت لتمنَعَ وردَهُ أن يجْتَنى

وتتضـح هـذه الخاصـية أيضـا فـي قـول الشـاعر(يوسـف بـن هـارون الرمـادي) عندما يشبه الخد بالطور الآفل[2]:

مُعجَمُ الحُسنِ بخَالين : على ثغرِهِ الأصغَرُ والخدِّ الأجـــــلِّ

فالـــــذي في الخدِّ طورا آفلٌ تحتَ صُدغٍ فوقَ صبح قد رَحلْ

وتبـرز صـفة الغرابـة والابتكـار أكثـر فـي قـول (الرمـادي) الـذي يشـبه الصدغ في حسنه وجماله بالذهب الخالص ، ويقول :

غُررُ اللُـــــجينِ وفوقـــها أصداغُ عقيانٍ لواعِبْ

تـــوَّجنَ منهُ وأرسَتـــــــْ منهُ إلى الكثبِ الذوائبُ

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات. ص 128 - 129 .
[2] - المصدر نفسه . ص 129 .

أصداغهنَّ مع الذوائبِ كالأساود والعقاربِ

ومن التشبيهات التي أوردها الرمادي أيضا من باب التغزل بالنساء ، هو وصفه لأحد النساء الجميلات وهي منطوية على نفسها تجلس تفكر وتشكو هموم الدنيا ومتاعبها ، واضعة بذلك كفها الذي يتميز بالبياض الشديد على خدها الشديد الحمرة ، حيث أثر فيه هذا المظهر كل التأثير حتى تشكلت له تلك الصورة التي قال فيها : وكأنها بدت تحجب ورد الخدّ بالسوسن الذي تأخذ أطرافه شكل الفضة وأضافره شكل الذهب الخالص ، وكأنّها عندما حاولت أن تخفي جمال وجهها أبانت جمالا آخر يفوقه وزنا [1] :

قدْ وَضعَ الكَفُّ على خدّهِ مفكِرًا من غبر أشجانِ

كأنّما يستُرُ عن ناظري بنَانهُ وردًا بسوسَانِ

كأنَّما أطرافهُ فِضَّةٌ صيغَ لَها أظفارُ عقيَانِ

ومن الصور التي تقوم على فكرة الغوص في المعاني تلك التي أوردها الرمادي أيضا في قوله [2] :

وتنَّعمتُ في خُدودِ صباَحِ زائداتٍ على بيَاضِ الصباحِ

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 133 .
[2] - المصدر نفسه . ص 131 .

صارَ فيها الخيلانُ في الوردِ شبْهًا للغوالي في أحمرِ التُفاحِ

ومن خلال النماذج السابقة يتبين لنا أنَّ الشعر الأندلسي وصل إلى مرحلة التفنن من خلال استخدامه لغرض الغزل ، ذلك لأنَّ معظم الأبيات الشعرية التي عرضها ابن الكتاني في هذا الموضوع تنقسم إلى قسمين : غزل بالمذكر ، وغزل بالمؤنث .

• **الهجاء :** « غرض من أغراض الشعر ، يتناول فيه الشاعر بالذّم والتشهير عيوب خصمه المعنوية والجسمية . وهو نقيض المدح ، لأن المدح يذكر الفضائل ، والهجاء يذكر الرذائل »[1].

إنَّ المتأمل لكتاب " التشبيهات " يلحظ ندرة هذا الغرض بشكل كبير ، على عكس الأغراض الأخرى التي حظيت بعدد كبير من الأشعار والأبواب ، ويتمثل الهجاء في بابي البخل وهجو النساء المغنيات . ويرجع السبب في ندرة هذا الغرض إبان العصر الأموي ربما إلى تغير التوجه الفكري والأدبي الذي شهده الشعب الأندلسي ، ذلك بسبب النهضة الفكرية والثقافية التي شهدتها الأندلس وأثرت بذلك كل التأثير على مختلف طبقات المجتمع وشرائحه ، لأن معظم الشعراء أولوا اهتمامهم إلى الجانب الثقافي مما قلل لديهم تلك الخصومات التي كانت معروفة من قبل .

ومن المعاني التي تعرضنا لها في غرض الهجاء ، هو قول الشاعر (محمد بن شخيص) في حديث عن البخل ، ويصف هذه الظاهرة بأنها من

[1] - غازي طليمات و عرفان الأشقر . تاريخ الأدب العربي . دار الإرشاد للنشر والتوزيع . دمشق . ط1 . 1992 . ص 179 .

طبـاع الحميـر مـن شـدة القصـوة التـي وجـدها فـي أثنـاء إنشـاده للشـعر ، حتـى أنَّ الناس أصبحوا يتهربون من أجل تفادي العطاء [1]:

قستُ بالشعرِ معشرًا فإذا هم صورُ الإنسِ في طباعِ الحمـــيرِ

كلَّمـــا جئتُهم لأنشِدَ شعرِي طمعًا من نوالِـــــــهم باليسـيرِ

فكـــأنِّي وضعتُ فلكَةَ بوقٍ في فـمي أو ضغطتُ أنبُوب كيرِ

ومن التشبيهات التي تؤكد تفشي ظاهرة البخل في العصر الأموي قول الشاعر (يوسف بن هارون) [2]:

فليس كمن إن تسَلهُم عطاء يمدوا أكفّهم للعطاء

إذا جئتهم بالمديـــحِ انزوَوْا كأنَّكَ تَأتيهم بالهجاءِ

يقول وفي باب هجو النساء المغنيات فإننا وجدنا جل التشبيهات تدخل في ما يسمى بالهجاء اللاذع ، وهذا ما أكده (الغزال) في قوله [3] :

جرداءُ صلعاءُ لم يبقِي الزمان لها إلا لسانًا ملِحًا بالملامـــــــــاتِ

لطمتُها لطمَةً طارت عمـــامتُها عن صلعةٍ ليسَ فيهَا خمسُ شعراتِ

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 253 ، 254 .
[2] - المصدر نفسه . ص 253 .
[3] - المصدر نفسه . ص 257 .

كأنّـــها بيضةُ الشاري إذا برقت بالمأزقِ الضنكِ بين المشرفيـــاتِ

لهَا حروفُ نُواتٍ في جَوانِبـــــا كقِسمةِ الأرضِ حيزت بالتخومـات

وكـــــاهلٌ كسِنَامِ العيسِ جرَّدهُ طولُ السَّفارِ وإلحاحُ القُتـــَودات

الشـاعر يصـف هـذه المـرأة بـأبخص الصـفات ، مثـل : جـرداء ، صـلعاء ، فهـو يقلـل مـن شـأنها إلـى درجـة قولـه أنـه عنـدما لطمهـا وطـارت بـذلك عمامتهـا لـم يجـد فـوق رأسـها سـوى خمـس شـعراتٍ ، ودلالـة التـي تحملهـا هـذه الأبيـات يـدخل فيهـا جانـب مـن السـخرية الممزوجـة بالهجـاء ، حيـث أنَّ أغلـب الأغـراض التـي بـرزت فـي العصـر الأمـوي نلمـس فيهـا نـوع مـن السـخرية والـتهكم وإن كـان هـذا الجانب أقل درجة من الغرض الغالب على المقطوعات الشعرية .

تـدخل هـذه الصـورة ضـمن مـا يسـمى بتشـبيه المحسـوس بالمحسـوس ، لأن الغـرض الـذي يريـده الشـاعر مـن خـلال هـذه الصـورة هـو أن يبـين مـدى قـبح الصـفات الجسـمانية لهـذه المـرأة لـذلك كـان مصـدر المشـبه بـه مـن عـالم الحـس ، كمـا أنـه لا يصـرح لا يصـرح بالمشـبه – الـذي هـو المـرأة – وإنمـا يكتفـي بـالتلميح إليهـا فقـط ، ويعتبـر هـذا الجانـب مـن الجوانـب الشـائعة فـي تركيـب الصـورة عنـد (يحيـا الغـزال) ، واسـتخدم بـذلك الاسـتعارة والتشـبيه فأحسـن الاختيـار فـإن دل

هـذا علـى شـيء فإنَّمـا يـدل علـى دقـة الشـاعر فـي اختيـار الألفـاظ المناسـبة لتركيـب صوره .

« ومـن هنـا جـاء هـذا الاتجـاه محافظـا مـن جانـب ومجـددا مـن جانـب ، فهـو محـافظ فـي مـنهج القصـيدة ولغتهـا وموسـيقاها ، ثـم فـي روحهـا وأخلاقياتهـا إلـى حـد كبيـر . وهـو مجـدد فـي معـاني الشـعر وصـوره ، ثـم فـي أسـلوبه وجمالياتـه إلـى درجـة بالغة »[1] .

[1] - أحمد هيكل . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 195 .

• **الطرافـــة والتنـــدر** : لقـد أظهـر الأندلسـيون تمكـنهم مـن هـذا الغـرض الشـعري الـذي تحمـل ملامحـه كـل صـفات التجديـد والتغييـر علـى مسـتوى الشـكل والمضـمون ، ومــن ثــم فقــد لمحــت بعــض التشــبيهات التــي تعــالج هــذا الموضــوع بــالرغم مـن قلتهـا، ومـن بينهـا مـا قالـه (عبيـديس الكاتـب) فـي معـرض حديثـه عـن اللحـى متهكما[1] :

يا من عليهِ للعُلا تاجُ إني إلى اللِحيةِ محتــاجُ

وعندكـــــم في وشقةٍ يَحملُها المائقُ حجَّــاجُ

ويقول في موضع آخر[2]:

للثَغرِ في جانبهَا مسرح فيه من الأنــعامِ أزواج

ومن صنُوفِ الـطيرِ في بعضه بطٌّ وسمّانٌ ودرّاج

يسيلُ من شارِبه فوقــَها سلحٌ غزيرُ القطرِ ثِجَّـاج

للبقِّ في عثتونِهِ مكــمَنٌ ومن دبيب القمل أفـواجُ

إذا مشى تُبصِرُ أفواجَها كأنَّـــها في البحرِ أفواجُ

يعقدُها في شعر وجعـائهِ فهو إذا ما شاء صنــاج

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 261 .
[2] - المصدر نفسه . ص 262 .

يظهر الشاعر من خلال هذه الأبيات روح الفكاهة والمداعبة الممزوجة بالسخرية والتهكم ، وقال في صددها صاحب النفح : « ولأهل الأندلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم وأجوبة بديهية مسكتة والظرف فيهم والأدب كالغريزة »[1].

وفي موضع آخر من الكتاب نلمح قول (مؤمن بن سعيد) متهكما في حديثه عن اللحية مشبها إياها بالعلم الذي يحمله العود ، ويصبح بذلك للريح ملعبة ، في قوله[2]:

قد صار عثنونُهُ للرِيحِ ملعَبَةً كأنَهُ علمٌ في عودِ بيطار

ويقول الشاعر(أحمد بن نعيم) في ذات الاتجاه[3] :

كأنَّ لحيته معروشةٌ غَرست في عارضي قردةٍ من ذيل خنزير

و قول (الرشاش) في تهكمه بأحد رجال الدولة العامرية حيث شبهه بالقرد نتيجة لطول لحيتهِ [4]:

لحيةُ سقلابٍ أبي هاشم أشبهُ شيء بشكير أستهِ

و وجههُ يحكِي لنَا القِرْدَ صورتِهِ قبحًا وفي نعتِهِ

[1] - إحسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسي . عصر سيادة قرطبة . دار الثقافة للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . ط2 . 1969 . ص 118 .
[2] - ابن الكتاني . الشبيهات . ص 262 .
[3] - المصدر نفسه . ص 263 .
[4] - المصدر نفسه . ص 264 .

ولا يوجد ما هو أكثر تهكما من الأبيات التي قالها (مؤمن بن سعيد) وهو يشبه نفسه بالتيس الذي أرهقه طول العمر[1] :

فها أنا ذا جئت أحملُ لِحيةً إليكَ لَها خطْبٌ وشأنٌ من الشأن

كـأنّي تيسٌ قد تطاول عمرُهُ وأفنى فُنـونًا من تيوسٍ وجِدْيَانِ

ومن بين النوادر التي تميز بها(مؤمن بن سعيد) هي تلك التي تتعلق بأحد القضاة ، ومن ذلك يقول إحسان عباس : « ومن نوادر مؤمن بن سعيد مع قاضٍ آخر يلقب (قبعة) أنَّ رجلا أتى إلى مؤمن وسأله أن يكتب له اسمه في رقعة . فسأله عن اسمه فقال (عقبة) ، فاستولى حب النادرة على مؤمن وكتب : (قبعة) وأعطاها للرجل ، فقدمها هذا إلى القاضي ، فجعل القاضي يقدم غيرها من الرقاع ويؤخرها ، فلما خفَّ الناس نادى : من عقبة ؟ فجاءه الرجل فقال له : من كتب اسمك ؟ فوصف له صفة مؤمن فقال له : لا تقعد إليه ثانية[2]» .

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 263 .
[2] - إحسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسي .ص 119 .

ومـن الأبيـات التـي تتعلـق بصـفات الطرافـة والـتهكم قـول الشـاعر(أحمـد بـن عبد ربه) وهو يصف التوت من جهة لونه ببنات الروم والحبشة[1]:

أهديتُ بيضًا وسودًا في تَلَونهمَا كأنَّها من بناتِ الرُومِ والحبَشِ

عذراءُ تُؤكلُ أحيـــــانًا وتُشرَبُ أحيانا فتَعصمُ من جُوع ومن عَطَشِ

يتبـين مـن الأمثلـة والشـواهد السـابقة أنَّ الشـاعر الأندلسـي أظهـر تمكنـه فـي طريقـة رسـم ملامـح جديـدة فـي التعبيـر عـن مـا يجـول فـي خـاطره ، فـي ظـل اسـتخدامه للتشـبيهات التـي تخـالف توقـع القـارئ ، والتـي تعبـر عـن مـدى مهارتـه وحـدة ذكـاءه الـذي جعلـه يتميـز عـن غيـره مـن الشـعراء بصـفات وخصـائص متنوعـة ومختلفـة ، بالإضـافة إلـى تجديـده فـي الكثيـر مـن الموضـوعات ، ولكـن هـذا لا ينفـي تقليـد الشـعراء الأندلسـيين لفطاحلـة الشـعر القـديم أمثـال أبـو نـواس فـي الخمريـات وامرئ القيس في الوصف .

ومـن خـلال دراسـتي لجـزء كبيـر مـن الأبيـات الشـعرية التـي جمعهـا(ابـن الكتـاني الأندلسـي) لمحـت تلـك الغرابـة والخيـال الواسـع الـذي يتميـز بـه معظـم الشـعراء ، كمـا أنَّ طريقـة اسـتخدام الصـورة عنـد الشـاعر الأندلسـي تختلـف تمامـا

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 84 .

عن بقية الشعراء في وقت سابق ، وهذا ما تجلى في البنية التركيبية التي تكونت على إثرها الصور الفنية .

نستطيع أن نقدم حصيلة دراستنا لتلك الأبيات الشعرية في كتاب "التشبيهات " على شكل سمات وخصائص أكسبت الشعر الأندلسي التميز والإنفراد والاستقلالية بحيث لا نعد الأندلسيين مقلدين للمشارقة تخفى ورائه شخصيتهم، وقد تمثلت هذه السمات في :

1- **التجديد في الموضوعات** : ويقصد به طرق بعض المواضيع الجديدة التي لم يسبق إليها ، فبالإضافة إلى تلك المقطوعة الشعرية التي عالج فيها الشاعر (أبا المخشى) تجربة فقدان البصر لمحت بعض المواضيع الجديدة التي أكسبت الشاعر الأندلسي التميز والتفرد ومن ذلك وصفهم للطبيعة ، « بحيث كان الارتياح للطبيعة ، من الموضوعات الكبرى التي سيطرت على الشعر في هذه الفترة ، ومن الخطأ أن ننظر فحسب في هذا الموضوع إلى شعر المشهورين فيه كابن خفاجة من بعد ، فإن شيوعه في الفترة الأموية ، يكاد يجعله أقرب أنواع الشعر إلى نفوس الأندلسيين ، وما عرضه كتاب الحدائق لابن فرج ، وكتاب البديع في فصل الربيع لحبيب ، والارتياح بوصف الراح لابن مسلمة ،

وكتاب التشبيهات لابن الكتاني ، وكتاب الفرائد و... ، فهي حافلة بصور الطبيعة في الشعر الأندلسي [1]» .

ومن مظاهر ولعهم بالطبيعة هو وصفهم لها في مقدمات قصائدهم ، بحيث أننا لمحنا صفة التجديد من باب المفاضلة بين الزهور ، وذلك في قول الرمادي[2] :

للآسِ والسَوسَانِ والياسميـ ن الغض والحيريَّ فضلٌ شديدٌ

سادَت بهِ الأرضُ ومن بينِها وبين فضلِ الوردِ بون بعيدٌ

هل لكَ من الآسِ سوى شمة تطرُحه من بعدِها في الوقُود

وبعد أن يعدد الشاعر مساوئ كل زهر يختتم بالفوزِ للوردِ قائلا[3] :

فالوردُ مولى الرَوضِ لكنَهُ في قَدرِه عبدٌ لوردِ الخُدود

وعليه يعتبر هذا النموذج الشعري أصدق شاهد يمكن إدراجه كدليل على التجديد الموضوعي لدى الأندلسيين .

2-**الجودة الفنية :** «ونعني بذلك محاولة الأداء بطريقة أجود مما ألف السابقون . وللأندلسيين وسائل مختلفة لهذا التجويد ، بعضها بتعلق بالمضمون ،وبعضها

[1] - إحسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسي . ص 106 ، 107 .
[2] - ابن الكتاني . التشبيهات . 51 ، 52 .
[3] - المصدر نفسه . ص 52 .

يتصل بالشكل ، وهذه السمة الفنية التي بدت في شعرهم منذ نشأته ، كانت دائما من أوضح خصائص الشعر الأندلسي في كل العصور ، وإن أخذت مظاهر مختلفة من عصر إلى آخر ، ومن شاعر لآخر [1]» .

ومن بين السمات التي تظهر على كتاب التشبيهات سمة الإيحاء التي استعملها معظم الشعراء من خلال تجنبهم للتعبير المباشر أو الصريح لتكون الصورة بذلك أشد وقعا وتأثيرا على المتلقي ، وعلى سبيل التمثيل نجد في أحد الأبيات الشعرية بروز هذه الخاصية بشكل لافت ، في قول الشاعر(أحمد بن عبد ربه) [2] :

أهديتُ بيضًا وسُودا في تَلوُّنهما كأنَّها من بَناتِ الرُومِ والحبشِ

الشاعر لا يصرح كل التصريح بمشبهه الذي يتمثل في فاكهة التوت التي يتراوح لونها بين الأبيض والأسود وإنما يكتفي فقط بالتلميح إليها .

3- **طغيان الجانب العاطفي :** «ونعني بذلك أن العاطفة تتضح في العمل الشعري ، حتى لتوشك أن تكون من أبرز عناصره[3]». وهذا ما يتجلى في أغلب التشبيهات التي تختص بوصف الطبيعة .

---

[1] - أحمد هيكل . تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 87 .
[2] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 84 .
[3] - أحمد هيكل . المرجع السابق . ص 89 .

ولنأخذ لذلك مثلا ، أبيات (مازن بن عمرو) في حديثه عن الطبيعة الأندلسية [1]:

وروضةُ تَدمارٍ يروقُكَ حُسنُها عليها رياطُ الوشي والحُلَلِ الصُّفرُ

ترى زَهراتِ النورِ فيها كأنَّها عيونٌ أجالتها بها الخرَّدُ الخُفر

الشاعر هنا يطرق موضوعا تقليديا ، متمثلا في الوصف ولكنه يبرز الجانب العاطفي حتى يكاد أن يكون هو المهيمن عن الجوانب كلها ، فهو لم يصف الروضة بغية إبراز حسنها وجمالها فقط ، بل إنه وصفها بأوصاف عاطفية فيها تلميح إلى الجانب النفسي أكثر منه إلى جوانب أخرى من خلال تشبيهه الروضة وما تحمله من أزهار بالعيون التي أجالتها بها الخرّد الخفر

ومن أجل تأكيد هذا الطرح نتناول مقطوعة شعرية حيث يبرز فيها الجانب العاطفي بشكل واضح خصوصا في البيتين الأخيرين ، يقول الشاعر (سليمان بن بطال المتلمس) [2] :

تبدَّتْ لَنَا الأرْضُ مزهَوَّةً علينَا ببهجَةِ أثْوَابِـــــها

كـــــأنَّ أزهَارَها أكِؤُسٌ حوتها أناملُ شرابِـــــها

كـأنَّ الغُصُونَ لَها أذرعٌ تنَاوَلَها بعضُ أصْحَابِها

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 40 .
[2] - المصدر نفسه . ص 41 ، 42 .

تُرى خمرُها من رُضابِ الهوى لآلىء في عينِ مرتابها

كـــــأنَّ تعانقُها في الجنوبِ تعانقُ خودٍ لأترابِـــــها

كـــــــأنَّ ترقرقَ أجفــانِـه بُكَاها لِفُرقَةِ أحبابـــها

الخيـــال الواســـع : ونعنـــي بـــه تلـــك الملكـــة الخاصـــة التـــي يمتلكهـــا الشـــاعر ويســـتطيع مـــن خلالهـــا أن ينقـــل القـــارئ مـــن واقعـــه الحقيقـــي إلـــى واقـــع افتراضـــي مـــن أجل دفعه إلى إعادة التأمل في واقعه .

لقـد ظهـرت هـذه السـمة فـي أغلبيـة المقطوعـات الشـعرية بـدرجات متفاوتـة ترجـع بالأسـاس إلـى القـدرة الذهنيـة التـي يمتلكهـا الشـاعر ، والتـي بهـا يسـتطيع التأثير على القارئ .

2- الذوق الفني و الجمالي لابن الكتاني الأندلسي :

قدم القرن الرابع مؤلفات عديدة ساعدت على اكتشاف الذوق الفني لأصحابها من خلال آرائهم النقدية و ميولاتهم الأدبية ، إذ يعتبر ابن الكتاني الأندلسي من بين الأدباء الذين برزت أذواقهم الفنية والجمالية من خلال مؤلفاتهم التي تعكس قيمة أذواقهم ، وعليه يعتبر كتاب " التشبيهات " أول مجموعة شعرية وصلتنا تمثل العصر الأموي آنذاك ، « فهذه الفترة لم تصلنا دواوين شعرائها وكل ما نملكه من الشعر الأندلسي الذي يمثلها قطع مبثوثة في كتب التاريخ والتراجم ، وقطعة لعدد من الشعراء أوردها الثعالبي ، فهو على أنه نماذج مختارة في موضوعات مختلفة يسعف على معاودة النظر في شعر ذلك العصر ويصحح كثير من الأحكام التي أجراها عليه الدارسون ، ويوسع من حدود المجال الشعري والفني في تلك الفترة » [1]. ولذلك تعد هذه المختارات الشعرية أوفر دراسة استطاعت الإلمام بأغلب المواضيع الشعرية التي برع فيها شعراء الأندلس . أضف إلى ذلك كله أنه لم يسبق لأي أديب أو مؤلف قدم دراسة بهذه المنهجية الدقيقة والمركزة إلى حد بعيد ، فهي تعكس ما اتصل به شعراء الأندلس من ملكة تصويرية فنية وإبداعية .

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 13 ، 14 .

يتبين من خلال كتاب " التشبيهات " أن ابن الكتاني الأندلسي يحاول عرض كلا الاتجاهين اللذين سيطرا على الشعر الأندلسي منذ نشأته إلى غاية القرن الخامس هجري ، ونجد هذا المؤلف من خلال المواضيع التي طرحها والتي تعتبر أهم المواضيع التي برع فيها الأندلسيون شكلا ومضمونا ، وكأنه يريد بذلك إحصاء مجالات الشعر التي اتصلت بها موهبة التصوير لدى الأندلسيين من وصف للطبيعة والتغني بأجمل مظاهرها الجميلة الرائعة .ووصف الخمرة وما يتصل بها من تغزل بالنساء والغلمان ، ناهيك عن تلك الأبيات التي تحمل صفة السخرية والتهكم والطرافة والمداعبة .

يريد ابن الكتاني من خلال مختاراته الشعرية أن يبرز اتجاهان هما ::

1-الاتجاه المحافظ : ونعني به ذلك الاتجاه الذي يهتم بالموضوعات التقليدية من غزل ومدح وهجاء ووصف ... إلخ . ثم في أنه كان يسير على منهج الأقدمين في بناء القصيدة ، وفي تجميع الصور غالبا من عالم البادية ، وتأليف أسلوبها في الأعم من لغة تستوحي الذاكرة والتراث ، أكثر مما تستوحي العصر والواقع .

ولنقوم بأخذ نموذج يعكس هذه الفكرة : يقول الشاعر (عباس بن ناصح) في وصف مغيب الشمس[1] :

وشمسُ النهارِ قد هوتْ لِمَغيبِها كَعذراء تبغِي في الحجَالِ التَواريا

يتناول الشاعر هنا موضوعا تقليدا ارتبط بالشعر كل الارتباط منذ عصوره الأولى هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تشبيهه لصورة مغيب الشمس يتلك الفتاة التي تود أن تخفي جمالها عن الأنظار، وهذا الوصف تطرق له العديد من شعراء الجاهلية أمثال (امرئ القيس) و(عمرو بن كلثوم) في بعض أشعارهم .

الاتجاه المحدث : «ونعني بهذا الاتجاه الذي سار فيه بالمشرق أبو نواس ومسلم بن الوليد وأبو العتاهية وأمثالهم من المجددين ، والذي تزعمه أبو نواس ، حين ثار على الاتجاه التقليدي ونددد بطريقته ، وراح يطرق أغراضا جديدة ، بمنهج جديد وأسلوب محدث »[2]. ولقد تأثر الشعراء الأندلسيون في بداياتهم بهذا الاتجاه الجديد في الشعر خصوصا في عهد (عبد الرحمان الأوسط) وما لبث حتى شاع بين مختلف الأدباء الأندلسيين .

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 88 .
[2] - أحمد هيكل . المرجع السابق . ص 127 .

ومن بين الأغراض الجديدة التي طرقها شعراء الأندلس ما يتعلق بالخمريات ونأخذ لذلك مثلا ، قول الشاعر (العتبي) وهو يصف الخمر[1]:

وعانِكَةٍ كعينِ الدّيكِ بكرٍ تقضَّت في الدنانِ لها دهورُ

ترى بين المِزاجِ لها حبَابًا كأنَّ نثيرَهُ الدرُّ النثيـــــر

تخالُ كؤوسَها واللّيلُ داجٍ كواكبَ بين أيدينا تدور

‹‹ هذا ما يتعلق بالاتجاه المحدث من حيث الأغراض الجديدة التي بدأت تجذب الشعر الأندلسي ، أما من حيث الأسلوب الجديد ، الذي بدأ يتضح في الشعر السائر في هذا الاتجاه ، أنه أسلوب يميل إلى شيء من التفضيل ويتجه أحيانًا إلى القص ، وتشيع فيه روح الدعابة والسخرية والتحرر إذا كان الموضوع لاهيا ، كما تشيع فيه روح المرارة والكآبة والتزمت إذا كان الموضوع جادا . ثم هو غالبا أسلوب ترسم صوره من عناصر حضرية ، وتخلق أخيلته في آفاق غير آفاق البادية ، وتؤلف لغته من ألفاظ بسيطة واضحة حسنة الإيقاع ، وتميل موسيقاه إلى البحور القصيرة والقوافي الرقيقة ›› [2].

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 89 .
[2] - أحمد هيكل . المرجع السابق . ص 130 .

وعليه فإن ابن الكتاني رصد كلا الاتجاهين من أجل الكشف عن السمات الأولى التي تميز بها الشعر الأندلسي في تقليده للقدامى وما لبث هذا الاتجاه حتى تأثر بالشعراء المجددين في بداية الأمر ، إلى أن تحرر الشعر الأندلسي وأصبح مركزا هاما يستقطب كل باحث يريد معرفة تلك الموضوعات الجديدة التي جاءت كرد فعل على الحياة البدوية في الأندلس .

من هذا المنطلق ركز ابن الكتاني على جمع كل ما يتعلق بالشعر الأندلسي في تلك الفترة ، وما حمله هذا الأخير من صور فنية مبتكرة تتجسد في موضوعات الطرافة والتندر وروح المداعبة والسخرية ، فلقد ركز بشكل كبير على طريقة الرسم بالصورة التي بدت مختلفة كل الاختلاف عن ما نظم في السابق ، وهذا دليل واضح على اهتمام المؤلف بالحركة الثقافية الأندلسية من أجل تأكيد استقلاليتها الفكرية والأدبية .

إذا تأملنا المختارات الشعرية لابن الكتاني نقول أن جلها توفر على مفردات صعبة المراص وليس من السهولة الكبيرة الوقوف على معانيها ، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى للمستوى الفني والثقافي للمؤلف الذي كان على اتصال دائم بجميع العلوم والميادين اللغوية ، أو ربما ذلك التأثير الذي أحدثته البيئة الأندلسية آنذاك علما أنَّ مرحلة تأليف الكتاب كانت من أزهى المراحل الأدبية

والثقافية التي مرت بها الأندلس ، كما أنَّ طائفة كبيرة من معاصريه توفرت لديهم صفة الغرابة في المصطلحات والغوص في المعاني بدرجة كبيرة ، وكل هذا يرجع بالأساس إلى المستوى الثقافي الباهر الذي غلب على طبيعة الشعراء آنذاك بغية الوصول إلى مجتمع متحضر مترف مستقل بأفكاره عن الأولين ، وعليه أصبح واقعهم الجديد مصدر إلهامهم في التعبير عن قرائحهم .

أما إذا عدنا إلى منهجية الكتاب والتي عكست ذوق الكاتب بدرجة كبيرة ، وجعلته ينفرد بين مصاف الأدباء والنقاد بمؤلفه الذي يعد مصدرا جديدا ساهم ولا زال يساهم في تحديد الخصائص والمميزات الفنية التي توفر عليها الإبداع الأندلسي في مراحله المتقدمة ، إلا أن ابن الكتاني في كتابه الثالث الذي يبدأ بالباب الثاني والخمسين فإنه يتناول الكتابة وأدواتها وبعض الآلات الحضارية الأخرى كالمذبة والمروحة ولكنه ينتقل فجأة من هذا المهيع الحضاري إلى الحديث في الأخلاق من جود وبخل وفي أصناف من الناس كالطفيليين والثقلاء ، وتنحو أشعار الباب نحو الهجاء والسخرية ليتلوها أبواب في الاعتبار بالفناء وفي الشيب والهرم وذكر الموت ، ثم يختتم الكتاب بباب عنوانه (باب شواذ تقل نظائرها) [1].

[1] - ينظر . ابن الكتاني . التشبيهات . ص 16 .

يتبين من خلال ما سبق أن ابن الكتاني غير ملتزم بمنهجيته في الكتاب ، فقد جاء الجزء الثالث مخالفا تماما للجزء ين الأول والثاني ويرى في هذا الموضوع الباحث (إحسان عباس) أنَّ المؤلف قد أعياه الالتزام بالمنهجية التي اتبعها من البداية ، لذلك وظف في الكتاب الثالث أبواب متفرقة ، لكنه يبدو لي أنَّ ابن الكتاني لم يعيه الالتزام كما ذكر إحسان عباس في الكتاب الثالث ، وإنما موسوعيته الكبيرة المتمثلة في أفكاره الواسعة من خلال دراسته للقرآن الكريم والغوص في معانيه وصوره التي تندهش لها العقول ، واطلاعه على دواوين العرب كان لها الأثر البالغ في عدم سيطرته على أفكاره .

يتضح لنا من خلال محاولتنا تتبع الذوق الفني للمؤلف، أنه كثيرا ما يستعمل الأداة (كأنَّ) في صوره التشبيهية ، بل من القليل جدا أن تلمح صورة فنية جُعلت أداة الربط بين طرفيها غير الأداة السابقة ، وكأنَّ المؤلف هنا يريد التأكيد على الصورة من خلال جمعه بين طرفيه التشبيه .

ومن خلال حديثنا عن الذوق الفني لـ ابن الكتاني يتبين لنا أنه يريد من خلال مؤلفه الموسوم بكتاب " التشبيهات " أن يظهر لدارسي الأدب الأندلسي تلك المهارة التي توفر عليها شعراء ذلك العصر، من الألفاظ الجزلة والموسيقى العذبة ، والمعاني المبتكرة ، والإيحاء العميق ، والخيال الواسع والتي تصب كلها

فـي مصـب التجديـد الموضـوعي ، وهـو بـذلك يريـد إبـراز ملامـح الشـعر الأندلسـي الـذي أصـبح يمتلـك شخصـية مسـتقلة بحيـث لا نعتبـر الأندلسـيين مقلـدين للمشـارقة تقليـدا يمكـن أن يقضـي علـى شخصـيتهم ويقلـل مـن شـأنهم ويفقـد تلـك الخصـائص المميزة لشعرهم .

خاتمة

يتــوفر الأدب الأندلســي علــى مصــادر ضــخمة و متنوعــة مثــل كتــاب " التشــبيهات مــن أشــعار الأنــدلس " الــذي يمثــل أصــدق وثيقــة تعكــس مــدى تطــور الــذوق الفنــي للعصــر الــذهبي بالأنــدلس ، والــذي يتــوفر علــى أهــم الخصــائص و الســمات الجماليــة كالإمتــاع ، الغرابــة ، الطرافــة ، و التنــدر. و هــذه الصــفات هــي التــي أكســبت الأدب الأندلســي الجــده و الابتكــار ، بالإضــافة إلــى ذلــك الــذوق الفنــي الرفيع الذي كان يتميز به كل من الأدباء و القراء في تلك الحقبة .

بعد دراستي لهذا الموضوع يطيب لي أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها:

* يعد التشبيه من الصور الفنية والجمالية التي عرفها الأدب الأندلسي من خلال براعة الشعراء في توظيف هذه الظاهرة التي يعدها النقاد من أبرز الظواهر تأثيرا على المتلقي .

* أثرت البيئة الأندلسية كل التأثير في صقل موهبة الشعراء من خلال التفنن في الوصف والتغني بالطبيعة وما تحمله من رياض وبساتين وحدائق غنّاء ينجذب لها كل متأمل في الطبيعة الأندلسية الساحرة .

* كان للنهضة الثقافية التي شهدتها الأندلس الدور البارز في نضج الشخصية الأندلسية من جراء اجتماع أبرز الحوافز المساعدة على ذلك كتعلق بعض الأمراء بالمعرفة ومشاركتهم في ميادين الثقافة أمثال عبد الرحمان الأوسط ، بالإضافة إلى ماحمله بعض المشارقة من مؤلفات أدبية وفكرية ، زيادة على ماحمله الأندلسيون أنفسهم .

* ظهور الاتجاه المحدث في الأندلس متأثرا في ذلك بالمنهج الذي سار فيه أبو نواس في المشرق وأبو العتاهية وغيرهم من المجددين .

خاتمة

* تأثر الأندلسيون بالمشارقة في بداية الأمر فقط ، ثم بعد ذلك حملوا لواء التجديد والابتكار حتى أصبح أدبهم في طليعة الآداب جدة واختراعا .

* طرق شعراء الأندلس مختلف الأغراض من وصف وغزل وهجاء ، ولكن الغرض اللافت للانتباه هو الفكاهة والتندر من خلال بروز صفتي السخرية والتهكم .

* أما غرض الوصف فلقد أجاده الشعراء كل الإجادة ويختلف عن الأغراض الأخرى كل الاختلاف من ناحية البراعة في الاستعمال، والسبب في ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى الطبيعة الأندلسية التي تنطق كل صامت .

* تختلف التشبيهات الواردة في كتاب " التشبيهات من أشعار أهل الأندلس " عن أي تشبيهات أخرى قد يحملها مؤلف آخر نظرا لتوفرها على صفات الغرابة والإمتاع والإيحاء من خلال الغوص في المعاني والاعتناء بالمحسنات البديعية .

* طغى على أبرز التشبيهات الواردة في الكتاب بعض الخصائص والسمات نجملها في أربعة عناصر وهي كالتالي :

1- التجديد في الموضوعات .

2- طغيان الجانب العاطفي .

3- الايحاء البسيط والمعقد .

4- الجودة الفنية .

خاتمة

* امتلاك ابن الكتاني لذوق فني خاص جعله يتصدر قائمة الأدباء الأندلسيين من حيث محاولته عرض المجالات التي اتصلت بها ملكة التصوير عند الأندلسيين، التي في أغلبها تخضع لترتيب موضوعي .

* يعد كتاب " التشبيهات " أوفى مجموعة شعرية وصلتنا تمثل العصر الأموي في الأندلس بجميع تفرعاته الأدبية والفكرية، وبذلك أصبح هذا الكتاب ألمع مصدر لدارسي الأدب الأندلسي ، ويعود الفضل إلى حاسة الذوق الفني الرفيعة التي يمتلكها ابن الكتاني .

* استطاع ابن الكتاني أن يعرض معظم الجماليات التي احتواها التشبيه إبان العصر الأموي في الأندلس، بمختلف تفرعاته وأقسامه .

* لقد خضع كل من الكتاب الأول والثاني لترتيب منطقي وموضوعي ، إلا أنَّ الكتاب الثالث لم نلحظ فيه هذا الترتيب والسبب ربما يعود لموسوعية المؤلف والتي من خلالها يفقد السيطرة على أفكاره .

وبالرغم من محاولتي لاكتشاف الجماليات التي توفر عليها كتاب " التشبيهات " ، إلى أن هذا المصدر مازال يغري بالبحث والدراسة ، لأنه لازال يحتوي على قضايا خفية تحتاج إلى دارس مُجد لإنارتها .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : المصادر

1- ابن الكتاني (أبو عبد الله محمد الطبيب) (420 هـ) . التشبيهات من أشعار أهل الأندلس . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت لبنان .

ثانيا : المراجع باللغة العربية :

1- أحمد ضيف . بلاغة العرب في الأندلس . دار المعارف للنشر والتوزيع . سوسة . تونس . ط2 . 1998 .

2- أحمد هيكل . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . دار المعارف . القاهرة . 1980 .

3- إحسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – . دار الثقافة للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . ط2 . 1969 .

4- امرئ القيس . الديوان . الديوان . تحقيق مصطفى عبد الشافي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . 1989 .

5- خليفة بن عربي . إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر . دار الصفحات للنشر والتوزيع . دمشق . سورية . 2011 .

6- جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب . المركز الثقافي العربي . ط3 . 1992 .

7- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542) . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . تحقيق إحسان عباس . ق1/ م1 . دار الثقافة . بيروت . لبنان . 1997 .

8- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن الفتوح بن عبد الله) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس . تحقيق بشار عواد معروف و محمد بشار عواد . دار المغرب الإسلامي للنشر والتوزيع . ط7 . 2008 .

9- عبد العظيم علي قناوي . الوصف في الشعر العربي . الجزء الثالث .

10- عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز . تحقيق أبو فهد محمود محمد شاكر .

11- عز الدين إسماعيل . الأسس الجمالية في النقد العربي . ط3 . 1974 .

12- عز الدين إسماعيل . الأدب وفنونه . دار الفكر العربي للنشر والتوزيع . القاهرة . ط 9 . 2004 .

13- غازي طليمات وعرفان الأشقر . تاريخ الأدب العربي . دار الإرشاد للنشر والتوزيع . دمشق . ط1 . 1992 .

14- قدامة بن جعفر (أبو الفتوح) . نقد الشعر . تحقيق عبد المنعم خفاجي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

15- ابن رشيق . قراضة الذهب في نقد أشعار العرب . تحقيق الشاذلي بويحيا . الشركة التونسية للنشر والتوزيع . 1972

16- محمد الولي . الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي عند العرب . المركز الثقافي العربي . بيروت . لبنان . ط1 . 1990 .

17- مصطفى ناصف . الصورة الأدبية . دار الأندلس للنشر والتوزيع . القاهرة . ط3 . 1996 .

18- نجوى صابر . الذوق الفني وتطوره عند النقاد العرب حتى القرن الخامس هجري . دار الوفاء للنشر والتوزيع . الإسكندرية . مصر . ط1 . 2007 .

19- ابن سعيد . المغرب في حلى المغرب . تحقيق شوقي ضيف . دار المعارف . الجزء الأول . ط4 .

ثالثا : المعاجم باللغة العربية:

1- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي) . لسان العرب . مادة (شعر) . المجلد الرابع . دار صادر . بيروت .ط1 . 1997 .

رابعا : الكتب المترجمة :

1 – جورج سانتيانا . ترجمة محمد مصطفى بدوي . تحقيق زكي نجيب محمود . 2001 .

فهرس الموضوعات

مقدمة.....(أ – د)

مدخل.....6

• التعريف بالمؤلف.....6

• عصره.....10

الفصل الأول: الجمالية الأدبية بين الصورة والذوق الفني

1 – مفهوم الصورة الفنية لغة واصطلاحا.....20

• عند النقاد القدامى.....21

• عند النقاد المحدثين 27

2– الذوق الفني وأنواعه :.....33

• تعريف الذوق.....34

• أنواع الذوق الفني.....35

الفصل الثاني : الذوق الفني لابن الكتاني الأندلسي من خلال مختاراته الشعرية

1–موضوعات التشبيه 42

2– الذوق الفني لابن الكتاني 78

خاتمة.....87

قائمة المصادر والمراجع 91

Résumé:

Le livre de similés est contient un certain nombre de caractéristiques esthétiques et techniques Voici ce que nous avons trouvé grâce à notre analyse des portes les plus importantes et les plus précises, et c'est ce qui nous a conduit à cette spéciale découverte de goût artistique appartenant à ibn elketani par sa manière de formuler anthologie de poésie contenant la plus belle ce qui a été dit au cours de la période des omeyyade. cette recherche en conformité avec les éléments suivants

- Introduction
- Entrée (définition de l'auteur et son temps)
- Chapitre I (entre l'image esthétique littéraire et le goût artistique)
- Chapitre II (artistique goût d' Ibn elketani par ses papiers poétique)
- Conclusion

Nous avons parlé dans le premier trimestre de l'image à long terme et tout ce qu'elle implique des notions de trésorerie, à travers les déjà vieilles critiques à la pointe du terme, alors que les critiques narrateurs fait ce terme est associé à chaque lien entre le degré de maturité de l'imagination lorsque l'auteur ou de l'écrivain, ce dernier qui possède le goût artistique chaque variation diffère du lecteur, et il a été le Département de Taha Hussein goût artistique au goût général et spécial

dans le deuxième chapitre on a parlé des éléments les plus importants esthétiques que les comparaisons techniques d'ibn elketani par le biais des recettes suggèrent et imaginative, et étrangeté, ce dernier qui lui a valu un goût spécial techniquement différent du reste des autre écrivains.

Toutes ces qualités liées à la poésie andalou lui a rendue dans les première places dans le domaine de la régénération au niveau de la forme et du contenu . malgré ses résultats obtenus on toujours besoin de chercheurs de haut niveaux pour découvrir secrets